هنا
غضب الرسول

ﷺ

عكاشة محمود عكاشة

دار البشير
للثقافة والعلوم



اسم الكتاب: **هنا غضب الرسول**
التأليف: **عكاشة محمود عكاشة**
موضوع الكتاب: **سيرة**
عدد الصفحات : **136**
عدد الملازم : **8.5**
مقاس الكتاب : **14 × 20**
عدد الطبعات : **الطبعة الأولي**
الإيداع القانوني : **2015/26053**
الترقيم الدولي : **I.S.B.N.978/977/278/513/1**
الصف التصويري: الندي للتجهيزات الفنية

التوزيع والنشر
دار البشير للثقافة والعلوم
مصر

darelbasheer@hotmail.com
darelbasheeralla@gmail.com
ت : 01012355714 - 01152806533

1437 هـ
2016 م

قال رسول الله ﷺ : «**ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله عز وجل من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تعالىٰ**» .

(رواه أحمد عن ابن عمر).

اللَّهُمَّ .. إِنِّي أَسَالَك خشيتك فِي الْغَيْب وَالشَّهَادَة
وأسالك كلمة الْحق فِي الْغَضَب وَالرِّضَا

يخاطبني السفيه بكل قبح
فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهة فأزيد حلمًا
كعود زاده الإحراق طيبًا

(الإمام الشافعي)



هنا
غضب الرسول ﷺ

عكاشة محمود عكاشة

مقدمة

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله أبداً وسرمداً، وصلىٰ الله علىٰ النبي الخاتم الذي كان لدين الله ناصراً وعضداً، ولحرمات الله أشد غضباً وحماية وسنداً، وعلىٰ آله وصحابته، وعلىٰ من حافظ علىٰ دينه و شريعته واستمسك بهديه وكل من اتبع سنته واتخذ من ذلك طريقاً ورشداً إلىٰ يوم الدين.. أما بعد:

من يطع الله ورسوله فقد رشد واهتدىٰ، وسلك منهاجًا قويمًا وسبيلًا رشدًا ومن يعص الله ورسوله فقد غوىٰ واعتدىٰ، وحاد عن الطريق المشروع ولا يضر إلَّا نفسه ولا يضر أحدًا، نسأل الله تعالىٰ أن يجعلنا وإياكم ممن يطيعه ويطيع رسوله، حتىٰ ينال من خير الدارين أمله وسؤله، فإنما نحن بالله وله.

فقد بعث الله نبيه ﷺ بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وختم به الأنبياء والمرسلين، فكان أفضلهم وخيرهم كما دلت علىٰ ذلك الأدلة الشرعية.

وقد كان ﷺ عظيم الأخلاق حسن العشرة، جل حياته وعيشه بسمة بريئة، وكلمة طيبة. إلا أن حياته ﷺ لم تخل من مواقف تبين غضبه من المخالفات التي يقع فيها الناس أو من الجرأة من بعض الناس علىٰ دين الله وشرعه. وما كان ﷺ ليغضب لنفسه ولا ينتقم لها بل كان غضبه عندما تنتهك حرمات الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ. كما روت عائشة رضي الله عنها قالت: والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتىٰ إليه قط حتىٰ

تنتهك حرمات الله عز وجل، فينتقم لله عز وجل(1) .

فالغضب حالة شائعة بين الناس وهو بينهم لا يكاد يجهله أحد ولكنه مبغوض ومساوئه أكثر من محامده؛ لأنه داء وليس بدواء في أكثر الأحايين وكما قيل:" فإن الغضب عدو العقل، وهو له كالذئب للشاة قلَّ ما يتمكن منه إلا اغتاله، والغضب من الصفات التي ندر أن يسلم منه أحد بل تركه بالكلية صفة نقص لا كمال والغضب ينسي الحرمات، ويدفن الحسنات، ويخلق للبريء جنايات(2) .

قال ابن تيمية رحمه الله:" ما تجرع عبد جرعة أعظم من جرعة حلم عند الغضب، وجرعة صبر عند المصيبة، وذلك لأن أصل ذلك هو الصبر علىٰ المؤلم، وهذا هو الشجاع الشديد الذي يصبر علىٰ المؤلم، والمؤلم إن كان مما يمكن دفعه أثار الغضب، وإن كان مما لا يمكن دفعه أثار الحزن، ولهذا يحمر الوجه عند الغضب لثوران الدم عند استشعار القدرة، ويصفر عند الحزن لغور الدم عند استشعار العجز "(3).

وفي هذا الكتاب سنورد بعضًا من المواقف التي غضب فيها رسول الله ﷺ علىٰ حرمات الله ودينه، ونرىٰ كيف كان تصرفه ﷺ مع غضبه، فلم يكن كغضب الناس الآخرين الذين إذا غضبوا أفسدوا وربما قتلوا أو دمروا، بل كان يصبر علىٰ الأذىٰ ويعلم الناس، ويخرج من غضبه بالمخرج الشرعي الذي سنه لنا ﷺ .

---

(1) رواه أحمد .

(2) الغضب وآداب وأحكام .

(3) مجموع الفتاوىٰ .

نبتهل إلىٰ الله تعالىٰ أن يتقبل عملنا هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكون علمًا نافعًا، عسىٰ أن ينفع به وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن نعي ونتأسىٰ ونتبع سنة النبي الكريم محمد ﷺ فإنها خير الطريق إلىٰ جنة الخلد بإذن الله تعالىٰ مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم

الغضب

** الغضب.. في اللغة نقيض الرضا، وهو السخط والشدة؛ لذا فهو غليان دم القلب. ويظهر أثر هذا الغليان علىٰ الجوارح، كاحمرار الوجه، وانتفاخ الودجين، واحمرار العينين[1] .

** الغضب.. فوران في النفس يحملها علىٰ الرغبة في البطش والانتقام[2] .

** الغضب.. عند علماء النفس: هو انفعالٌ وتوتّرٌ نفسيٌّ، تصحبه متغيّرات فسيولوجية (بدنية)، تثيره دوافع داخلية، ومثيرات خارجية مادّية ومعنوية مؤذية، ويميل الفرد أثناء الغضب إِلَىٰ العدوان،وقد ينغمس فيه بحسب الدرجة والموقف المتأزّم عبر صورٍ عديدة، منها:

1- إيماءات جسدية، كتعابير الوجه وحركة اليد الدالة علىٰ السخط.

2- لفظيّة، كتوجيه النقد الجارح، الإهانات، الهزء والسخرية، وما شابه ذلك.

3- الاعتداء المباشر، والإيذاء الجسدي، وتهشيم الممتلكات

** الغضب.. طبيعة من طبائع البشر، وفطرة فطرها الله سبحانه تعالىٰ في بني آدم، قد توقع صاحبها في عظيم الخطر وكبير الشر، وقد حذر من الغضب رسولُ الله في كثير من الأحاديث الشريفة، فمنها: عن

(1) فتح الباري.

(2) الوافي في شرح الأربعين النووية.

أبي هريرة رضي الله عنه : أن رجلا قال للنبي أوصني، قال: لا تغضب، فردد مرارا، قال لا تغضب[1] وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رجل لرسول الله: دلني علىٰ عمل يدخلني الجنة، قال رسول الله :لا تغضب ولك الجنة [2] .

** الغضب.. يتفاوت الناس في التعبير عنه بين الشدّة والضعف والاعتدال، بحسب أعمارهم وأجناسهم وشخصياتهم وقيمهم ومعتقداتهم وبيئاتهم التي يعيشون فيها ويتفاعلون معها، ودرجة نضجهم العاطفي والاجتماعي، وطبيعة الموقف اللازم والدوافع التي تقف خلفه

** الغضب.. وإن كانت حقيقته جمرة تشعل النيران في القلب ، فيغلِي القلب؛ ولذلك يحمرُّ الوجه وتنتفخ أوداجه، وبيَّن ذلك النبيُّ ﷺ بقوله: ألا إنَّ الغضب جمرةٌ في قلب ابن آدم، أفما رأيتُم إلىٰ حُمرة عينيه، وانتفاخِ أوداجه؟![3]. وبذلك يدفع الغضب صاحبه إلىٰ قول أو فعل ما يندم عليه، لأنه يعمي البصيرة، ويضعف التفكير ، إلا انه عند النبي ﷺ قولٌ بالحق، وغيرةٌ علىٰ محارم الله ، ودافعه دومًا إنكار لمنكر، أو عتاب علىٰ ترك الأفضل.

** والغضب له وظيفة كبيرة في الدفاع عن حرمات الله ودين الله، وحقوق المسلمين وديارهم، لكنه إذا ابتعد عن هدي النبي ﷺ تحول إلىٰ شر وعداوة، وخلافات وفرقة.

(1) رواه البخاري.
(2) رواه الطبراني.
(3) رواه الترمذي.

أسباب الغضب

بواعث الغضب وأسبابه كثيرة جدًّا، والناس متفاوتون فيها، فمنهم مَن يَغضب لأمر تافه لا يُغضب غيره وهكذا، فمِن أسباب الغضب علىٰ سبيل المثال لا الحصر:

أولًا: العُجب: فالعجب بالرأي والمكانة والنسب والمال سبب للعداوة إن لم يُعقل بالدين وذلك برده ودفعه فالعجب قرين الكِبْر وملازم له، والكِبْر من كبائر الذنوب فقد قال النبي ﷺ : لا يدخل الجنة مَن في قلبه مثقال ذرة من كِبر[1] .

ولهذا فقد كان السلف يُحذرون من أسباب العُجب، ولو لم تكن مباشرة فعن سليم بن حنظلة قال: بينا نحن حول أُبي بن كعب نمشي خلفه إذ رآه عمر فعلاه بالدرة، فقال: أنظر يا أمير المؤمنين ما تصنع؟ فقال:" إن هذه زلة للتابع وفتنة للمتبوع"[2].

وجاء أن يحيىٰ بن زكريا لقي عيسىٰ بن مريم - صلىٰ الله عليهما وسلم - فقال: أخبرني بما يُقرِّب من رضا الله، وما يُبعد من سخط الله؟ فقال عيسىٰ:" لا تغضب". قال يحيىٰ: الغضب ما يبدأه وما يعيده؟ فقال عيسىٰ:" التعزز والحمية والكبرياء والعظمة" [3].

ثانيًا المراء: فالمراء رائد الغضب، وللمراء آفات كثيرة منها: الغضب؛ لهذا فقد نهىٰ الشارع عنه قال النبي ﷺ : أنا زعيم ببيت في

(1) رواه مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
(2) رواه ابن أبي الدنيا في التواضع.
(3) الزهد.

ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا[1].

ثالثًا: المزاح: فتجد بعض المكثرين من المزاح يتجاوز الحد المشروع منه: إما بكلام لا فائدة منه، أو بفعل مؤذ قد ينتج عنه ضرر بالغ ثم يزعم بعد ذلك أنه كان يمزح؛ لذا قال النبي ﷺ : (لا يأخذن أحدكم متاع صاحبه جادًّا ولا لاعبًا[2] .

وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ " إياك والمزاح فإنه يجر القبيح ويورث الضغينة"[3] .

رابعًا: بذاءة اللسان وفحشه: بشتم أو سب أو تعيير مما يوغل الصدور، ويثير الغضب، وقد قال النبي ﷺ : إن الله يبغض الفاحش البذيء[4] .

---

(1) رواه أبو داود من حديث أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(2) رواه أحمد من حديث يزيد بن سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(3) رواه ابن أبي شيبة.

(4)رواه الترمذي من حديث أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أنواع الغضب

وحتىٰ لا يختلط الأمر علىٰ البعض فيعتقد أن كل الغضب مذموم فيصير بالرياضة والمجاهدة بليدًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا ولا يغضب لما يغضب لمثله العقلاء؛ لا بد إذًا من بيان أنواع الغضب وهي ثلاثة أنواع: غضب محمود ومذموم ومباح، ولكل منهم آثاره علىٰ النفس والمجتمع، من سعادة أو شقاء، وثواب أو عقاب.

أولًا: الغضب المذموم:

** وهو كيفيّة نفسيّة موجبة لحركة الروح من الداخل إِلَىٰ الخارج، ومبدؤه شهوة الانتقام، وهو من جانب الإفراط، وإذا اشتدّ فإنّه يستر نور العقل، ويضعّف فعله، فلا تؤثّر الموعظة في صاحبه، بل تزيده غلظة وشدة

**هو ما كان في سبيل الباطل والشيطان، فيكون لأمر من أمور الدنيا، أو كان دافعه الانتصار للنفس، أو العصبية والحميّة للآخرين. أو بسبب تطبيق الأحكام الشرعية، أو بسبب المطالبة بالأمر بالمعروف والنهيٰ عن المنكر، أو بسبب المطالبة بمحاربة الرذيلة المنتشرة في الإعلام والصحف والمجلات وغيرها.

**يظهر ذلك الغضب جليًّا في كتابة بعض كُتَّاب الصحف أو الإعلاميين في الفضائيات فتجد أحدهم يغضب بسبب ذلك، ولا همَّ له سوىٰ مسايرة العصر!! سواء وافق الشرع المطهر أو خالفه فالحق عندهم ما وافق هواهم والباطل ما حدَّ من مبتغاهم

** وهذا الغضب تترتب عليه نتائج خطيرة علىٰ صاحبه وعلىٰ مجتمعه لأنه ينشر الرذيلة داخل المجتمع ، ويسن سنن سيئة يقتدي بها الآخرون فيعود ذلك وبالًا عليه يوم القيامة قال ﷺ : وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ(1) .

ثانيًا: الغضب المحمود :

** هو الغضب الَّذِي ينتظر إشارة العقل والدّين، فينبعث حيث تجب الحميّة، وينطفئ حيث يحسن الحلم، وحفظه علىٰ حدّ الاعتدال هو الاستقامة الَّتي كلَّف الله تعالىٰ بها عباده، وهو الوسط الَّذي وصفه رسول الله ﷺ حيث قال:" خير الأمور أوساطها(2) .

** وهو ما كان لله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ عندما تنتهك محارمه ، ويكون هذا النوع من الغضب بسبب اعتداء علىٰ حرمة من حرمات الله، من هجمة علىٰ العقيدة أو خلل فيها، أو بدعة في أداء عبادة، أو قتل نفس مسلمة، أو أخذ مال بغير حق، أو اعتداء علىٰ أرض، أو انتهاك عرض، أو فشو معصية وغيرها من الحرمات والمحظورات التي نهي عنها في دين الله، وهذا النوع ثمرة من ثمرات الإيمان إذ أن الذي لا يغضب في هذا المحل ضعيف الإيمان.

** هو ما كان يغضبه رسول الله ﷺ لله ولحرماته ، ولم يكن لنفسه فيه نصيب، وكان بسبب اعتداء علىٰ حرمة من حرمات الله، أو قتل نفس مسلمة، أو أخذ مال بغير حق، وغيرها من المحرمات

(1) رواه مسلم.
(2) رواه البيهقي.

والمحظورات التي نُهِيَ عنها في دين الله ، ففي مثل هذه الحالات كان غضبه ﷺ .

** تقول عائشة رضي الله عنها : ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأة ولا خادمًا، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله عز وجل(1).

** فلم يغضب النبي ﷺ لنفسه أبدًا، يبين ذلك أنس رضي الله عنه فيقول: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، لا والله ما سبني سبة قط، ولا قال لي أف قط ، ولا قال لي لشيء فعلته لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله ألا فعلته(2) .

** وما أكثر ما تنتهك محارم الله تعالىٰ في هذا الزمان علنًا وسرًّا، فكثير من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة لا همَّ لها سوىٰ نشر الرذيلة، ومحاربة الفضيلة، وإشاعة الفاحشة، وبث الشبهات، وتزيين المنكر، وإنكار المعروف، والاستهزاء بالدين وشعائره فهذا كله مما يوجب الغضب لله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ وهو من الغضب المحمود، وعلامة علىٰ قوة الإيمان، وهو ثمرة لحفظ الأوطان ، وسلامة الأبدان ، وتظهر ثمرة الغضب هنا بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والرد علىٰ الشبهات، أما السكوت المطبق مع القدرة علىٰ التغيير فسبب للهلاك فعن زينب بنت جحش– رضي الله عنها أن النبي ﷺ استيقظ من نومه وهو يقول: لا إله إلا الله ويل

(1) رواه مسلم .
(2) رواه أحمد .

للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه (وحلق بأصبعه وبالتي تليها). قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث(1).

وكذلك من الغضب المحمود: الغضب لما يحدث للمسلمين من سفك للدماء، وانتهاك للأعراض، واستباحة للأموال، وتدمير للبلدان بلا حق.

ثالثًا: الغضب المباح:

❁❁ وهو الغضب في غير معصية الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ولم يتجاوز حدَّه كأن يجهل عليه أحد، وكظمه هنا خير وأبقىٰ قال تعالىٰ ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران].

❁❁ ومما يُذكر هنا أن جارية لعلي بن الحسين جعلت تسكب عليه الماء، فتهيأ للصلاة، فسقط الإبريق من يد الجارية علىٰ وجهه فشجه، فرفع علي بن الحسين رأسه إليها، فقالت الجارية: إن الله– عز وجل– يقول: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ فقال لها: قد كظمت غيظي. قالت ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ فقال لها: قد عفا الله عنك. قالت: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ قال: اذهبي فأنت حرة(2).

❁❁ وقال ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ " والخلق مجبولون علىٰ الغضب، والحلم معًا، فمن غضب وحلم في نفس الغضب فإن ذلك ليس بمذموم ما لم يخرجه غضبه إلىٰ المكروه من القول والفعل علىٰ أن

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) رواه البيهقي في الشعب.

مفارقته في الأحوال كلها أحمد " ا.هـ(1).

❁❁ وقد رُوي عن الأحنف بن قيس أنَّه قال: "لستُ بحليمٍ، ولكنِّي أتحالمُ.

(1) روضة العقلاء.

درجات الناس في قوة الغضب

يتفاوت الناس في طريقة تعاملهم مع الآخرين في حياتهم اليومية، ومعالجة المثيرات التي يواجهونها « فمنهم من تستخفه التوافه، فَيَسْتَحْمِق علىٰ عجل ،ومنهم من تستفزه الشدائد فَيُبْقِي علىٰ وقعها الأليم محتفظًا برجاحة فكره وسجاحة

خلقه (سجاحة الخلق: لينه وحسنه) (1) .

الأولىٰ: التفريط:

وهو أن يفقد قوة الغضب أو ضعفها، وهذا مذموم، وهو الذي يقال فيه: إنه لا حَمِيَّة له، ولذلك قال الشافعي:«من استُغْضِبَ فلم يغضبْ فهو حمار»، فهذا قد فَقَدَ معنىٰ الغَيْرَة والعِزَّة، ورضي بقلة الأنفة واحتمال الذل.

الثانية: الإفراط:

ويكون بغلبة هذه الصفة حتىٰ تخرج عن سياسة العقل والدين ولا تبقىٰ للمرء معها بصيرة ونظر ولا فكرة ولا اختيار، وسبب غلبته أمور غريزية، وأمور اعتيادية.

الثالثة: الاعتدال:

وهو المحمود وذلك بأن ينتظر إشارة العقل والدين فينبعثَ حيث تجبُ الحَمِيَّةُ، وينطفئُ حيث يَحْسُنُ الحلمُ وحفظُهُ علىٰ حد الاعتدال والاستقامة التي كلف الله تعالىٰ بها عباده وهو الوسط(2).

---

(1) خلق المسلم .

(2) إحياء علوم الدين .

والغضب المحمود هو ما كان دفعًا للأذىٰ في الدين أو العرض أو المال له أو لغيره، وانتقامًا ممن عصىٰ الله ورسوله، وهذه كانت حال النبي ﷺ ، فإنه لا ينتقم لنفسه، ولكن إذا انتهكت حرمات الله تعالىٰ غضب لذلك.

ضوابط الغضب لمحارم الله

** محارم الله: هي الأمور التي حرمها الله تعالىٰ، وقد جاءت هذه اللفظة في قول عائشة رضي الله عنها عندما وصفت النبي ﷺ فقالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل(1).

قال الإمام النووي رحمه الله: وانتهاك حرمة الله تعالىٰ هو ارتكاب ما حرمه(2)وبذلك فإن الغضب لمحارم الله- تعالىٰ- التي تُنتهك محلُّ مدحٍ وثناءٍ في الشريعة بل هو مطلب شرعي.

** ولكن : ما حدود هذا الغضب؟ وهل هذا الغضب يخرج الإنسان عن القدرة علىٰ التوازن في التفكير، أو التعدي بالقول، أو العمل؟

لا شك أن من سيحلل غضب النبي ﷺ سيجد أن النبي ﷺ يتصرف وهو بكامل عقله وتصرفاته.

** فالغضب المراد هنا أن لا يخرج الإنسان عن وضعه الطبيعي حال هدوئه فيتصرف تصرف الإنسان في حال طبيعته قبل غضبه فلا يتعدىٰ بالقول أو الفعل، فهذا الغضب أفاد فوائد عدة منها:

أ – أنه أعطاه دفعة نفسية لتغيير هذا المنكر.

ب – أن تغير ملامح الإنسان بسبب هذا الغضب يدل علىٰ عظم هذا المنكر فليس أمرًا طبيعيًّا.

(1) رواه مسلم .

(2) شرح النووي علىٰ مسلم.

ج – أن المشاهد والمستمع لهذا الغضبان يحرص علىٰ الاستجابة لما يرىٰ من شدة تأثر المتكلم فيكون هذا الغضب دافعًا للاستجابة.

** أما إذا خرج به الغضبان عن الحد الطبيعي وتجاوز الحدود الشرعية كأن:

1. يتعدىٰ في أحكامه، أو أقواله، أو تصرفاته.
2. أو لا يدري ماذا يقول فغطىٰ عليه الغضب فلم يضبط ألفاظه.
3. أو يزيد في الكلام عن الأمر المراد.
4. أو يضرب أو يخرب.
5. أو يُرهب أو يقتل.

** يقول أبو هُرَيرةَ رضي الله عنه: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: كان رجُلانِ في بني إسرائِيلَ مُتَآخِيَين، فكان أحدُهما يُذنِبُ، والآخرُ مُجتهِدٌ في العِبادة، فكان لا يَزالُ المُجتهِدُ يرىٰ الآخرَ علىٰ الذَّنب، فيقول: أقصِرْ، فوجده يومًا علىٰ ذنبٍ فقال له: أقصِرْ، فقال: خَلِّني وربِّي، أبُعِثتَ عليَّ رقيبًا؟! فقال: واللهِ لا يغفِرُ الله لكَ، أو لا يدخِلُكَ الله الجنَّة، فقَبضَ أرواحَهما، فاجتمعا عندَ ربِّ العالَمِين، فقال لهذا المُجتهد: كنتَ بي عالِمًا، أو كُنت علىٰ ما في يدي قادِرًا؟! وقال للمُذنب: اذهبْ فادخُل الجنَّة برحمتي، وقال للآخر: اذهبُوا به إلىٰ النَّار، قال أبو هُريرةَ: والذي نفسِي بيده، لتكلَّم بكلمةٍ أوبقتْ دُنياهُ وآخرتَه(1).

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله: فهذا غَضِبَ لله، ثم تكلَّم في حال غضبه لله بما لا يجوز، وحتَّم علىٰ الله بما لا يَعلمُ، فأحبط الله عملَه،

(1) رواه أبو داود .

فكيف بِمَن تكلَّم في غضبه لنفسِه ومتابعة هواه بما لا يجوز؟![1] .

** ومن أهم الضوابط الغضب لمحارم الله ، معرفة فقه انكار المنكر وضوابطه والتي من أهمها (إنكار المنكر وضوابطه) :

1. أن يكون المنكر منكرًا شرعًا مخالفًا للدليل؛ لا من المسائل التي يسوغ فيها الخلاف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وإِذَا كَانَتِ الْمَسْأَلَةُ مِن مَسَائِلِ الاِجْتِهَادِ الَّتِي شَاعَ فِيهَا النِّزَاعُ لَمْ يَكُنْ لأَحَدٍ أَنْ يُنْكِرَ عَلَىٰ الإِمَامِ وَلاَ عَلَىٰ نَائِبِهِ مِن حَاكِمٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَلاَ يَنْقُضُ مَا فَعَلَهُ الإِمَامُ وَنُوَّابُهُ مِن ذَلِكَ.

2. أن يكون المنكر ظاهراً غير مخفي.فمن ضوابط إنكار المنكر أن يكون ظاهرًا معلنًا غير مستخف به صاحبه أو مستتر به، ولأن تتبع عورات الناس من المنهي عنه شرعًا، وهذا أصل هام من أصول هذه الشعيرة.

3. أن لا يترتب علىٰ الإنكار منكر أعظم، أو تفويت معروف أعظم منه، وهذه من أعظم الضوابط، والقاعدة الشرعية أن درء المفاسد مقدم علىٰ جلب المصالح.

4. أن يكون إنكار المنكر برفق ولين. فالواقع في المنكر يحتاج إلىٰ لين ورفق حتىٰ يقلع عن منكره ذلك، فالرفق مطلب شرعي في جميع الأحوال. قال النَّبيُّ ﷺ : إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَىْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَىْءٍ إِلَّا شَانَهُ[2] .

(1) جامع العلوم والحكم .

(2)رواه مسلم في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها .

علاج الغضب

(ما أنزل الله داء إلا وأنزل له شفاء) [1] ومن الأدوية لعلاج داء الغضب:

أولًا: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم:

فالشيطان الذي أخرج آدم عليه السلام من الجنة، ودفع قابيل لقتل هابيل، هو نفسه الذي يثير الغضب، فلا يترك الإنسان حتىٰ ينساق له ويتمثل لأمره، لذا أرشدنا الرسول ﷺ إلىٰ الاستعاذة من الشيطان الرجيم عند الغضب، لأنه يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم.

عن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: استب رجلان عند النبي ﷺ فجعل أحدهما تحمر عيناه وتنتفخ أوداجه (العروق المحيطة بعنقه)، فقال رسول الله ﷺ : إني لأعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فقالوا له: إن النبي ﷺ قال: تعوذ بالله من الشيطان. فقال الرجل : وهل بي جنون [2] .

ثانيًا: تغيير الحال :

بأن يغير مكانه، فإذا كان واقفًا فليجلس أو يضطجع . عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع[3].

(1) رواه البخاري .

(2)رواه البخاري ومسلم .

(3) رواه أبو داود .

وفي ذلك علاج لتهدئة النفس، وإخماد نار غضبها، لأن الإنسان في حالة الوقوف يكون مهيئًا للانتقام أكثر منها في حالة الجلوس، وفي حالة الجلوس منها في حالة الاضطجاع، لذا جاء الوصف النبوي بهذه الوصفة الدقيقة، التي أكدتها الدراسات النفسية المعاصرة.

ثالثًا: ترك المخاصمة والسكوت:

** قال الشيخ عبد الرحمن السعدي-" رحمه الله :" ومن الأمور النافعة أن تعلم أن أذية الناس لك وخصوصًا في الأقوال السيئة لا تضرك بل تضرهم إلا إن أشغلت نفسك في الاهتمام بها، وسوغت لها أن تملك مشاعرك، فعند ذلك تضرك كما ضرتهم، فإن أنت لم تصنع لها بالًا، لم تضرك شيئًا[1] .

** فالسكوت وضبط اللسان هدي ودواء نبوي لعلاج الغضب، لقوله ﷺ : علِّموا، ويسِّروا ولا تعسّروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت، قالها ثلاثًا[2] .

فإطلاق اللسان أثناء الغضب قد يجعل الإنسان يتلفظ بكلمات يندم عليها بعدها، ومن ثم أوصىٰ النبي ﷺ الغاضب بالسكوت، وأوصىٰ المسلم بوجه عام بقول الخير أو الصمت، فقال ﷺ : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت"[3].

رابعًا: الوضوء:

يقول رسول الله ﷺ : إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق

(1) الوسائل المفيدة للحياة السعيدة
(2) رواه أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما
(3) روام مسلم .

من النار، وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ"[1] .

خامسًا: كظمه بالحلم والعفو

كظم الغضب بالحلم والعفو، يفتح أبواب المحبة والتسامح بين الناس، ويسد أبواب الشيطان التي يمكن من خلالها أن يدخل بين المسلمين، فيثير العداوات والبغضاء في صفوفهم، بل ويرتقي بالغاضب إلىٰ الإحسان إلىٰ من أساء إليه.

وهديه ﷺ القولي والفعلي في عدم الغضب وكظم الغيظ والعفو كثير، من ذلك:

قوله ﷺ : من كظم غيظًا وهو يستطيع أن ينفذه، دعاه الله يوم القيامة علىٰ رؤوس الخلائق حتىٰ يخيِّره أي الحور شاء[2] .

وقوله ﷺ : ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله[3].

فهذه الأحاديث وغيرها تحث المسلم علىٰ عدم الغضب، بل علىٰ العفو والتسامح، والابتعاد عن الانتقام، وتبين الأجر العظيم لذلك في الدنيا والآخرة .

سادسًا: النظر في نتائج الغضب

فكثير الغضب تجده مصابًا بأمراض كثيرة كالسكري والضغط والقولون العصبي وغيرها مما يعرفها أهل الاختصاص، كما أنه بسببه تصدر من الغاضب تصرفات قولية أو فعلية يندم عليها بعد ذهاب

(1) رواه أحمد عن عطية السعدي رضي الله عنه .
(2) رواه ابن ماجة عن أنس رضي الله عنه.
(3) رواه مسلم .

الغضب روي عن علي رضي الله عنه أنه قال " لذة العفو يلحقها حمد العاقبة، ولذة التشفي يلحقها ذم الندم"(1). وقيل: من أطاع الغضب أضاع الأرب

وقال ابن رجب رحمه الله" والغضب هو غليان دم القلب المؤذي عنه خشية وقوعه أو طلبًا للانتقام ممن حصل له منه الأذىٰ بعد وقوعه، وينشأ من ذلك كثير من الأفعال المحرمة كالقتل والضرب وأنواع الظلم والعدوان، وكثير من الأقوال المحرمة كالقذف والسب والفحش، وربما ارتقىٰ إلىٰ درجة الكفر كما جرىٰ لجبلة بن الأيهم"ا.هـ (2) .

فكم ضاع من خير وأجر وفضل بسبب الغضب، وكم حلت من مصيبة ودمار وهلاك بسبب الغضب، وبسبب ساعة غضب قطعت الأرحام، ووقع الطلاق، وتهاجر الجيران، وتعادىٰ الإخوان.

سابعًا: أخذ الدروس من الغضب السابق:

فلو استحضر كل واحد منا قبل أن يُنفذ غضبه الحاضر ثمرةَ غضبٍ سابقٍ ندم عليه بعد إنفاذه لما أقدم علىٰ ما تمليه عليه نفسه الأمارة بالسوء مرة ثانية، فمنع الغضب أسهل من إصلاح ما يفسده قال ابن حبان رحمه الله " سرعة الغضب من شيم الحمقىٰ كما أن مجانبته من شيم العقلاء، والغضب بذر الندم فالمرء علىٰ تركه قبل أن يغضب أقدر علىٰ إصلاح ما أفسد به بعد الغضب" ا.هـ (3) .

(1) المستطرف .
(2) جامع العلوم والحكم .
(3) روضة العقلاء .

حكم تصرف الغاضب

الغضب لا يعذر الغاضب ولا يعفيه عن مسؤولية تصرفاته، فتصرفاته كلها معتبرة وعليها أحكام وعقوبات، فإذا أتلف مالًا فإنه يضمن المال الذي أتلفه، وإذا قتل نفسًا فإنه يقتص منه، وإذا تلفظ بالكفر فيحكم عليه بالردة عن الإسلام حتىٰ يتوب، وإذا طلّق زوجته فإن طلاقه يقع إلا في حالة واحدة إذا كان الغاضب فاقدًا الوعي لا يدري ما يقول، فإنه في هذه الحالة لا يقع الطلاق، لقول الرسول ﷺ : «لا طلاق ولا عتاق في إغلاق»(1). وهكذا فتصرفاته معتبرة وتقع عليه مسؤولية تلك التصرفات.

(1) سنن أبي داود .

الرسول يغضب

هل يجوز للرسول أن يغضب وهو رسول الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ؟!

** إذا كنت تؤمن معنا ببشرية الرسول ﷺ ، فذلك يعني أنك تؤمن بأنه ﷺ يأكل ويشرب وينام ويستيقظ ويتزوج النساء ويدخل الخلاء، وأيضًا من لوازم بشريته ﷺ أنه قد ينسىٰ ويخطىء، وقد يتصرف علىٰ خلاف الأولىٰ والأجدر، بل قد قرر ذلك جمهور العلماء: أن الأنبياء غير معصومين من الصغائر، ووردت بذلك الأدلة. ألم تقرأ قول الله عز وجل: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ [عبس]، فهو عتاب صريح من الله ـ عز وجل ـ لنبيه ﷺ ، نتيجة تصرفه خلاف الأولىٰ مع ذلك الأعمىٰ ، وقد كان الأصل أن يقبل عليه ويكرمه بما يليق به.

وكذلك ألم تقرأ قول الله سبحانه: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٤٣﴾ [التوبة]. يقول العلامة السعدي في تفسيره:" أي: سامحك وغفر لك ما أجريت" انتهىٰ من (" تيسير الكريم الرحمن)، ففيه عتاب واضح علىٰ إذن النبي ﷺ لمن استأذنه من المنافقين بالتخلف عن القتال، وهو واحد من أمثلة بشريته ﷺ التي من مقتضاها السهو والخطأ والغضب، وإن كان ذلك منه ﷺ في الأحيان النادرة، بعكس من يغلب ذلك عليه، أو يكون

ديدنًا له، وينقاد لمتقضىٰ الطبع في أمره كله، أو في غالبه .

** علىٰ الرغم من كون النبي ﷺ نبيًّا من الأنبياء يتلقّىٰ الوحي من السماء، غير أن المشاعر الإنسانية المختلفة تنتابه كغيره من البشر، فتمرّ به حالات من الفرح والسرور، والحزن والضيق، والرضا والسكينة، والغضب والغيظ

** وتبرز قيمة العنصر الأخلاقي في حياة النبيﷺ في وضع هذه الانفعالات المتباينة في إطارها الشرعي، حيث هذّبها وصانها عن الإفراط والمغالاة، والتفريط والمجافاة، بل أضاف لها بُعدًا جديدًا حينما ربطها بقضيّة الثواب والاحتساب، وكان شعاره ﷺ في ذلك: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) (1) .

** ولنعلم أن غضب النبي ﷺ رحمة بمن غضب عليه منهم، وأجر له، إشكال تقول ـ عائشة ﵂ ـ قالت:" دَخَلَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلَانِ فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ، لَا أَدْرِي مَا هُوَ فَأَغْضَبَاهُ، فَلَعَنَهُمَا، وَسَبَّهُمَا، فَلَمَّا خَرَجَا، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَصَابَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا، مَا أَصَابَهُ هَذَانِ ، قَالَ: (وَمَا ذَاكِ). قَالَتْ : قُلْتُ: لَعَنْتَهُمَا وَسَبَبْتَهُمَا، قَالَ: (أَوَ مَا عَلِمْتِ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي ؟ قُلْتُ : اللهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ، أَوْ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا) (2)، وصدق الله العظيم: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝١٢٨﴾ [التوبة].

** وليس غضب النبي ﷺ هو محل القدوة ولا الأسوة، بل ما

(1) رواه البيهقي .
(2)رواه مسلم .

يحدثه لربه من العبادات بعد ما ألم به، هو محل الأسوة والقدوة. ثم إن من حِكَم ذلك: أن تتعلم منه الأمة أن الكمال المطلق لله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ

نماذج من غضب الرسول ﷺ

(1) نسيان أوامره :

** جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فسأله عن اللقطة فقال: اعرف وكاءها(الوكاء هو الخيط التي تربط به) أو قال : وعاءها (الظرف الموضوعة فيه) وعفاصها (عفاص اللقطة وهي الخرقة المربوط فيها الشيء الملتقط) ثم عرفها (ناد عليها مبينًا بعض صفاتها) سنة، ثم استمتع بها، فإن جاء ربها (مالكها) فأدها إليه.

فقال الرجل: يا رسول الله، فضالة الغنم ؟

قال: خُذها؛ فإنَّما هي لك أو لأخيك أو للذئب.(أي إما أن تأخذها أو يلتقطها غيرك أو يأكلها الذئب إن تركت)

فقال الرجل: يا رسول الله، فضالة الإبل ؟ (أي ما حكم التقاط الإبل الضالة)

فغضب رسول الله ﷺ حتىٰ احمرت وجنتاه،(الوجنةـ بفتح الواو وضمها وكسرها ـ هي: اللحم المرتفع من الخدين) أو احمر وجهه فقال: وما لك ولها! معها سقاؤها (جوفها الذي تشرب فيه الماء فيكفيها أيامًا) وحذاؤها (خفها الذي تمشي عليه وتضرب به من يفترسها)، ترد الماء وترعىٰ الشجر، فذرها (أي دعها) حتىٰ يلقاها ربها (1) .

---

(1) رواه البخاري عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه .

.. قــف :

قال ابن حجر: (عن غضب الرسول ﷺ هنا) إما لأنه كان نهىٰ قبل ذلك عن التقاطها، وإما لأن السائل قصر في فهمه فقاس ما يتعين التقاطه علىٰ ما لا يتعين"(1).

وهنا يجوز الغضَب علىٰ المخطيء إذا علمتَ أنَّ في إبداء غضبك عليه ردعًا له وباعثًا علىٰ الحقِّ.

.. اعلـم :

اللقطة هي الشيء الذي يجده المرء في الأرض لا صاحب له ولا يد عليه. وحكم اللقطة في سائر البلاد (عدا الحرم) أن يعرِّفها الملتقط سنة، ثم له الانتفاع بها. و تنقسم اللقطة باعتبار القيمة إلىٰ قسمين:

أ ـ لقطة معتبرة، وهي اللقطة التي تتعلق بها النفوس أو لقطة ذي بال أو خطر

ب ـ لقطة يسيرة أو حقيرة، وهي التي لا تتعلق بها النفوس، من مأكول أو شيء حقير. لحديث أنس رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ بتمرة في الطريق، فقال: لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها(2) .

.. انتبـه :

أجمع أهل العلم بالنسبة للقطة علىٰ الآتي:

1/ أجمعوا أن اللقطة ما لم تكن تافهة يسيرة، أو شيئًا لا بقاء به، فإنها تعرف حولًا كاملًا. مدة التعريف فيختلف قدر المدة لاختلاف قدر اللقطة إن كان شيئًا له قيمة تبلغ مثلًا مائة جنيه فصاعدًا يعرفه

(1) فتح الباري لابن حجر .
(2) رواه البخاري .

حولًا، وإن كان شيئًا قيمة أقل من مائة يعرفه أيامًا علىٰ قدر ما يرىٰ، ويكون التعريف بها في مجامع الناس كالأسواق – أبواب المساجد – المجمعات العامة – ومكان التقاطها.

2/ أجمعوا أن صاحبها إن جاء، وثبت أنه صاحبها أنه أحق بها من ملتقطها، وأنه يضمن الملتقط قيمتها إن كان أكلها، أو استهلكها قبل الحول، أو بعده، فإن كان استهلاك الملتقط لها بعد الحول، كان صاحبها مخيرًا بين أن يضمن الملتقط قيمتها، وبين أن يسلم له فعله فينزل علىٰ أجرها.

3/ أجمعوا أن يد الملتقط لها لا تنطلق علىٰ التصرف فيها، بوجه من الوجوه قبل الحول إن كانت مما يبقىٰ مثلها حولًا دون فساد يدخلها.

4/ أجمعوا أن لآخذ ضالة الغنم في الموضع المخوف عليها أكلها. ومثلها من صغار الحيوان حفظًا لها من الهلاك وافتراس السباع.

(2) المشقة علىٰ الناس :

1/ الإطالة في صلاة الفجر :

قال رجل: يا رسول الله إني لأتأخر عن الصلاة في الفجر مما يطيل بنا فلان فيها.

فغضب رسول الله ﷺ (غضبًا لم يرىٰ في موضع كان أشد غضبًا منه يومئذ)، ثم قال: يا أيها الناس إن منكم منفرين فمن أم الناس فليتجوز، فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة(1).

(1) رواه البخاري ومسلم عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه .

.. انتبـه :

من السنة الإطالة في صلاة الصبح، فعن أبي برزة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يُصلي الصبح وأحدنا يعرف جليسه، ويقرأ فيها ما بين الستين إلىٰ المائة(1).

لذلك فالتنفير إنما يكون في الإطالة التي تحصل معها المشقّة، أما أن يُراعىٰ حال كل إنسان في صلاة الفجر علىٰ وجه الخصوص فهذا مُتعذّر، وإنما يُراعىٰ حال العموم ويُمكن أن يُراعىٰ المكان، كمساجد الأسواق التي يُبكّر أصحابها إلىٰ حِرَفهم.

2/ الإطالة في الصلاة :

** كان أُبَي بن كعب رضي الله عنه يصلي بأهل قباء، فاستفتح سورة طويلة ودخل معه غلام من الأنصار في الصلاة فلما سمعه قد استفتح بسورة طويلة انفتل الغلام من صلاته وكان يريد أن يعالج ناضحًا له (أي الجمل الذي يسقي عليه)

** لما انفتل الغلام قال القوم لأبىٰ بن كعب: إن فلانًا انفتل من الصلاة.

** غضب أُبَي بن كعب فأتىٰ النبي ﷺ يشكو الغلام، وأتىٰ الغلام يشكوه للنبي ﷺ من أبي بن كعب.

** غضب النبي ﷺ حتىٰ رُئي الغضب في وجهه، ثم قال:" إن منكم منفرين فإذا صليتم فأوجزوا فإن خلفكم الضعيف والكبير والمريض وذا الحاجة(2).

(1) رواه البخاري ومسلم .
(2) رواه أبو يعلىٰ في مسنده عن جابر رضي الله عنه .

.. فإذا صليتم فأوجزوا:

إن الإيجاز والتخفيف المأمور به، والتطويل المنهي عنه لا يمكن أن يرجع فيه إلىٰ شهوة المأمومين ورضاهم، ولا إلىٰ اجتهاد الأئمة الذين يصلون بالناس ورأيهم في ذلك؛ كون ذلك لا ينضبط ، وإنما المرجع والتحاكم في التخفيف والتطويل في الصلاة إلىٰ ما كان يفعله من شرَّع الصلاةَ للأمة(النبي ﷺ) وجاءهم بها من عند الله، وعلمهم حقوقها وحدودها وهيآتها وأركانها.

فالتخفيف ينقسم إلىٰ قسمين: القسم الأول: تخفيف لازم. وهذا التخفيف اللازم أن يقتدي الإمام بسنة النبي ﷺ ويواظب عليها.

القسم الثاني: تخفيف عارض، والتخفيف العارض أن يخفف عن السنة لسبب يعرضه يقتضي التخفيف.

ومما يجب إدراكه وفهمه هو:"أنه ليس المراد بالتخفيف وترك التطويل أن يترك سنة القراءة والتسبيحات ويتهاون في أدائها، بل أن يقتصر علىٰ قدر الكفاية في ذلك، مثل أن يكتفي علىٰ ثلاث مرات من التسبيح بأدائها، كما ينبغي مع رعاية القومة والجلسة، وأكثر ما يراد بتخفيف الصلاة الوارد في الأحاديث تخفيف القراءة".

قال الألباني:" لا يجوز للإمام أن يطيل القراءة بأكثر مما كان رسول الله ﷺ يطيلها، أو بأكثر من التي حدَّدها؛ وذلك خشية أن يفتنهم عن دينهم.. وأن الاقتصار علىٰ هديه ﷺ في القراءة، فمن فعل ذلك؛ فقد خفف، ومن زاد علىٰ ذلك؛ فقد أطال، وخالف أمرَ الرسول ﷺ . (أصل صفة صلاة النبي ﷺ)

والأحاديث التي وردت في التطويل والتخفيف في الصلاة عند عدم

العارض واستقامة الأمر راجعةٌ إلىٰ سنة التنوع وتعدد الأحوال في الصلاة للنبي عليه الصلاة والسلام؛ وعليها يكون هدي الأئمة في ذلك قال الألباني:" إن النبي عليه الصلاة والسلام كانت له في الصلاة أحوال؛ حال يفعل فيها هذا، وحال يفعل فيها ذاك، كما كانت له، أحوال في تطويل القراءة، وتخفيفها، وغير ذلك من أنواعها، وكما توضأ مرة مرة، ومرتين مرتين، وثلاثًا ثلاثًا، وكما طاف راكبًا، وطاف ماشيًّا، وكما أوتر أول الليل وآخره وأوسطه وانتهىٰ وتره إلىٰ السَّحَر، وغير ذلك- كما هو معلوم من أحواله ﷺ -، وكان يفعل العبادة علىٰ نوعين- أو أنواع- ليبين الرخصة والجواز بمرة أو مرات قليلة، ويواظب علىٰ الأفضل منها علىٰ أنه المختار والأولىٰ.. (أصل صفة صلاة النبي ﷺ)

(3) عدم الرضا بحكمة:

1/ شكوىٰ الزبير بن العوام:

** كانت للزبير بن العوام رضي الله عنه أرضٌ يزرعها في المدينة، وكانت أرضًا مرتفعة قليلًا عن الأرض التي تجاورها، وكان ماء المطر إذا نزل تجمع في واديين كبيرين بالمدينة، ثم ينحدر الماء منهما إلىٰ الأراضي التي حولهما، ولأن أرض الزبير كانت عالية، وأول أرض في طريق الماء، فإن الزبير كان يحجز هذا الماء ليسقي أرضه، ثم يتركه يجري ليسقي بقية الأراضي التي تجاوره.

** ذات يوم، فوجئ الزبير وهو يحجز الماء ليستكمل سقي أرضه بالماء المنحدر من مسيل الوادي) أي موضع جريان الماء من الوادي(كعادته، فوجئ بجاره صاحب الأرض المجاورة لأرضه،

يأمره بترك الماء ينزل إلىٰ أرضه قبل أن يستكمل الزبير سقي أرضه، فتعجب الزبير من هذا التصرف المفاجئ والطلب الغريب؛ لأن معناه أن يترك الماء يمرَّ دون أن يسقي أرضه، وأن تبقي أرضه عطشىٰ، ويجف زرعها، لأن الماء سيتجمع بذلك في أرض جاره المنخفضة عن أرضه، ولن يستطيع الزبير أن يعيد رفع الماء إلىٰ أرضه بعد أن ينتهي الجار من السَّقْي.

** لم يوافق الزبير علىٰ طلب جاره، وحاول أن ينصحه بأن يستمر الأمر كما كان، لكن الرجل غضب وأصرَّ علي طلبه. فلم يجد الزبير بدًّا من رفع الأمر إلىٰ رسول الله ﷺ ليحكم بينهما، فهو الحاكم والقاضي بين المسلمين، فلما ذهبا إلىٰ النبي ﷺ- وأخبراه بالمشكلة، قال النبي ﷺ : اسقِ يا زبير، ثم أرسل الماء إلىٰ جارك".

فغضب جارُ الزبير ولم يُعجبه حُكْم النبي ﷺ ، وقال في ثورة غضبه: أن كان ابن عمتك(يقصد: حكمتَ له وقدَّمته عليَّ وظلمتني لأنه ابن عمتك يا رسول الله).

** ظهر الغضبُ علىٰ وجه النبي ﷺ من هذه المقولة التي لا تصدر عن مسلم آمن بالله ربًّا، ورضي بمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا.

.. انتبـــه :

كيف يشهد مسلم أن محمدًا رسول الله ﷺ ، ويعلم أن طاعته من طاعة الله، ثم يتهمه بالظلم ومحاباة أقربائه. لقد كان حكم ﷺ فيه إحسان وتلطُّف بهذا الجار؛ مراعاة للجوار بالمعروف، إذ كان معناه ألا يتمهل الزبير في سقي أرضه- مع أن هذا من حق الزبير- وأن يُعجِّل في الري؛ حفاظًا علىٰ استمرار المودة مع جاره الغاضب.

** فلما قال هذا الجار قولته القبيحة الظالمة، التي كانت زلَّة من الشيطان أخرجه بها عن الصواب في التعامل مع النبي الكريم ﷺ ، فأصدر النبي ﷺ حكمه العدل الذي يعطي لكل صاحب حق حقه؛ لأن هذا الجار لم يستحقَّ الإحسان- يعني الزيادة عن حقه تفضلًا وتلطُّفًا- الذي كان في الحكم الأول، ولأن هذا الجار قابل الإحسان بالطمع واتهام النبي ﷺ ، قال ﷺ : اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتىٰ يرجع إلىٰ الجدر"..(الجدر هو الجدار، يرجع أي يرتفع الماء في الأرض كلها حتىٰ يبتل كعب رجل الإنسان)

.. اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر :

أي استوفِ (أي خذ حقك كاملًا وافيًا غير منقوص) يا زبير حقَّك، وأتم سقي أرضك حتىٰ ترتوي وتبلغ تمام الشرب، ثم أرسلها بعد ذلك لمن بعدك.

** وعندئذٍ أنزل الله سبحانه وتعالىٰ قوله إرشادًا وتعليمًا للصحابة ولنا؛ حتىٰ لا نقع في مثل خطأ هذا الجار:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

والمعنىٰ: أن الله يقسم بذاته المقدسة أنه لا يؤمن أحد تمام الإيمان؛ حتىٰ يُحكِّم الرسول ﷺ - في خلافاته وقضاياه، فما حكم به هو الحق الذي يجب الانقياد له ظاهرًا (أي بالتنفيذ العملي)، وباطنًا (أي بالرضا النفسي بحكمه)، ثم لا يجد الذين حكَّمُوك في نفوسهم ضيقًا أو غضبًا مما حكمتَ به، ويرضوا به رضاءً كاملًا.

..كيف أحكم النبي ﷺ في حياتي؟

ويجب أن نفهم هنا شيئًا مهمًّا، وهو أن قوله تعالىٰ:" حتىٰ يحكموك" ليس المقصود به وقت حياة النبي ﷺ فقط، بل يشملنا هذا الأمر بعد موته ﷺ أيضًا، بحيث نحكمه في أمورنا وقضايانا في كل وقت؛ وفي كل مكان لأن النبي ﷺ لم يأت لزمان معين، ولا لمكان معين، وإنما هو رسول الله ﷺ لكل زمان ومكان، وهو معنا بما تركه لنا من القرآن الكريم وسنته المطهرة فعن مالك بن أنس مرسلًا قال: قال رسول الله ﷺ :" تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله(1)، اللذين يمثلان منهجًا ودستورًا لحياة المسلم الملتزم بتعاليم دينه، فإذا حكمناهما في حياتنا، فكأننا حكمنا النبي ﷺ في كل شؤوننا وحياتنا؛ فننال رضا الله، ويدخلنا جنته.

2/ غنائم يوم حنين:

** يوم حنين آثر النبي ﷺ ناسًا (من المؤلفة ومن الطلقاء ومن رؤوساء العرب يتألفهم)، أعطىٰ الأقرع بن حابس (وهو من سادات تميم، كان شريفًا في الجاهلية والإسلام) مائة من الإبل، وأعطىٰ عيينة مثل ذلك، وأعطىٰ ناسًا من أشراف العرب (والطلقاء وضعفاء الإيمان) وآثرهم (أي أعطاهم عطايا نفيسة)

فقال رجل من الأنصار: والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله!

فلما سمع عبد الله بن مسعود تلك المقولة قال: أما أنا لأقولن للنبي ﷺ

(1) رواه في الموطأ .

** أتىٰ عبد الله بن مسعود النبي ﷺ وهو في أصحابه فساره (يعني قالها له سرًّا) بتلك المقولة فشق ذلك علىٰ النبي ﷺ وتغير وجهه وغضب حتىٰ إن ابن مسعود ود لو أنه لم يكن يخبره، ثم قال ﷺ : يرحم الله موسىٰ قد أوذي (أي: من أذىٰ السفهاء والجهال له) بأكثر من هذا فصبر (علىٰ أذاهم وقابل جهلهم بحلمه)

** فقال عبد الله بن مسعود لنفسه :لاَ جرمَ لاَ أَرْفعُ إلَيه بعْدها (أي هذه المرة) حدِيثًا.(يقع من أولئك فيه نفثات ألسنتهم بما تخفيه صدورهم) (1) .

..اعلم وانتبه

أن النبي ﷺ حينما كانت تأتيه المغانم سواء بسبب الحروب أو بسبب الجزية التي يأخذها فكان من عادته ﷺ أنه إذا جاءه مال جاء به إلىٰ المسجد ووزعه علىٰ الناس وهو بطبيعة الحال يوزعه بقسمة يراعي فيها أمورًا لا يدركها سائر الناس فهو مثلًا قد يعطي إنسانًا أكثر من آخر لماذا؟ لسابقيته في الإسلام، أو لبلائه الحسن في الإسلام ، ويبدو لبعض ناقصي الإيمان والعقل أنه هنا فيه محاباة مع أنه في الحقيقة ليس هناك شيء من المحاباة وأحيانًا علىٰ العكس من ذلك يعطي إنسانًا هو حديث عهد بالإسلام ليس له سابقة في الإسلام وليس له جهاد في الإسلام ومع ذلك فيعطيه أكثر ممن له سابقة في الإسلام فيستنكر ذلك بعض قاصري العقول فيقول كيف هذا؟ البارحة أسلم وما حضر ولا معركة كيف يزيد عليه العطاء؟

(1)رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

فيجهل هذا الإنسان أن الرسول ﷺ يعطيه تأليفًا له ولقلبه وقد يكون رئيسًا في قومه فهو إذا جلب قلبه إليه جلب من وراءه من بني قومه، هكذا هذه السياسة الشرعية لا يحسنها أحد مثل الرسول ﷺ .

.. هل يعد قول بن مسعود من الغيبة والنميمة؟

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله- في تعليقه علىٰ هذا الحديث: وفيه أن أهل الفضل قد يغضبهم ما يقال فيهم مما ليس فيهم .في هذا الحديث جواز إخبار الإمام وأهل الفضل بما يقال فيهم مما لا يليق بهم ليحذروا القائل وفيه بيان ما يباح من الغيبة والنميمة لأن صورتهما موجودة في صنيع ابن مسعود هذا ولم ينكره النبي ﷺ ، وذلك أن قصد ابن مسعود كان نصح النبي ﷺ وإعلامه بمن يطعن فيه ممن يظهر الإسلام ويبطن النفاق ليحذر منه، وهذا جائز كما يجوز التجسس علىٰ الكفار ليؤمن من كيدهم (1) .

(4) المفاضلة بين الأنبياء:

** بينما يهودي يعرض سلعته أعطي بها شيئًا كرهه فقال: لا والذي اصطفىٰ موسىٰ علىٰ البشر.

فسمعه رجل من الأنصار فقام فلطم وجهه وقال: تقول والذي اصطفىٰ موسىٰ علىٰ البشر والنبي ﷺ بين أظهرنا

فذهب اليهودىٰ إلىٰ النبي ﷺ فقال له: أبا القاسم إن لي ذمة وعهدًا فما بال فلان لطم وجهي؟!

فقال ﷺ للأنصاري: لم لطمت وجهه؟ .

(1) فتح الباري.

ذكر الأنصاري ما قاله اليهودي فقَالَ:- يَا رَسولَ اللهِ - وَالَّذِي اصْطَفَىٰ مُوسَىٰ عليه السلام عَلَىٰ الْبَشَرِ وَأَنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا .

** فغضب النبي ﷺ حتىٰ رئي في وجهه ثم قال: لا تفضلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرىٰ فأكون أول من بعث، فإذا موسىٰ آخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور أم بعث قبلي، ولا أقول إن أحدًا أفضل من يونس بن متىٰ[1].

.. لا تفاضلوا بين أنبياء الله :

إن النهي إنما هو عن تفضيل، يؤدي إلىٰ تنقيص المفضول، فليس التفضيل بالرأي ومجرد العصبية، ولا بما يلزم منه تنقص المفضول والحط من قدره، كل هذا وما في معناه محرم قطعًا، منهي عنه شرعًا، وهو الذي غضب منه رسول الله ﷺ ولو لم يقصده ذلك الأنصاري رضي الله عنه ، فغضب النبي ﷺ ونهيه عن ذلك تعليم عام للأمة، وزجر بليغ لجميعهم؛ كيلا يقع ذلك أو يصدر عن أحد منهم فيهلك.

وأما التفضيل بما أكرمه الله- عز وجل- ورفع به درجته، ونوه في الوحي بشرفه من الفضائل الشرعية والأخروية، وغير ذلك مما شهد الله تعالىٰ به ورسوله ﷺ ، فهو الذي يجب اعتقاده والإيمان به، والتصديق والانقياد له والتسليم ، فلا يؤخذ علم ما يختص بالله ورسوله إلا عن الله وعن رسوله ﷺ (معارج القبول)

ويقول ابن عطية رحمه الله: أن التفاضل يكون ممنوعًا إذا كان مخصوصًا بين نبيٍّ بعينه ونبي آخر، ويكون مخصوصًا يعني بين نبي

(1) رواه البخاري ومسلم عن أبىٰ هريرة رضي الله عنه .

ونبي، تقول موسىٰ وعيسىٰ ومحمد وإبراهيم وموسىٰ ونوح قال هذا ممنوع لأن هذا يورث شيئًا في الصدور ولكن أن تبين فضل الله علىٰ نبي بخلاف ما علية غيره من الأنبياء هذا هو الذي أراده الله في قوله: "فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ" (1) .

..ولا أقول إن أحدًا أفضل من يونس بن متى :

وقال النووي رحمه الله فيما قاله ﷺ في شأن يونس أنه ﷺ قال هذا زاجرا عن أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئا من حط مرتبة يونس ﷺ من أجل ما في القرآن من قصته، قال العلماء: وما جرىٰ ليونس ﷺ لم يحط من درجة النبوة مثقال ذرة ، وخصص يونس بالذكر لما ذكرناه من ذكره في القرآن بما ذكر[2].

(5) السؤال عن الأمور الدقيقة :

وغضب عليه الصلاة والسلام من تكلّف الناس في السؤال عن الأمور الدقيقة فيكون سؤالهم سببًا في التشديد عليهم، وكذلك من سؤالهم عما لا يُفيد.

1/ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَتَكَلُّفِ مَا لا يَعْنِيهِ :

** سأل ناسٌ رسول الله ﷺ حتىٰ أحفوه المسألة (أي ألحوا عليه في السؤال وأكثروا من سؤاله فيما يكره الجواب عنه) ، فغضب فصعد المنبر فقال: لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم. أو قال: سلوني عما شئتم .

** فأكثر الناس البكاء وأكثر رسول الله ﷺ أن يقول: سلوني

(1) القرطبي .
(2) معارج القبول .

قام إليه ﷺ رجل فقال: أين مدخلي يا رسول الله؟

قال ﷺ : النار.

** قام رجل (وهو عبد الله بن حذافة) وكان إذا لاحىٰ (أي خاصم ونازع) الرجال يدعىٰ (ينسب) لغير أبيه (المشهور به)، فقال: يا رسول الله من أبي؟

قال ﷺ : حذافة (لِلَّذِي كَانَ يُنْسَبُ إِلَيْهِ فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ يَا بُنَيَّ لَقَدْ قُمْتَ بِأُمِّكَ مَقَامًا عَظِيمًا قَالَ أَرَدْتُ أَنْ أُبَرِّئَ صَدْرِي مِمَّا كَانَ يُقَالُ وَقَدْ كَانَ يُقَالُ فِيهِ)، فقام آخر فقال: من أبي يا رسول الله ؟

فقال ﷺ : أبوك سالم مولىٰ شيبة، ثم أكثر ﷺ أن يقول: سلوني سلوني

** فلما رأىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما في وجهه ﷺ برك علىٰ ركبتيه وأنشأ (أي شرع) فقال: يا رسول الله، إنا نتوب إلىٰ الله عز وجل، رضينا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولًا، (أي رضينا بما عندنا من كتاب الله تعالىٰ، وسنة نبينا ﷺ واكتفينا به عن السؤال) نعوذ بالله من الفتن،

** سكت رسول الله ﷺ (أي سكت فن قول: اسألوني) حين قال عمر ذلك ثم قال ﷺ : ما رأيت في الخير والشر كاليوم قط إنه صورت لي الجنة والنار حتىٰ رأيتهما وراء الحائط (1).

2/ التكلف في السؤال:

** أتىٰ رجلًا النبي ﷺ فقال: كيف تصوم؟

فغضب رسول الله ﷺ فلما رأىٰ عمر رضي الله عنه غضبه قال: رضينا بالله

(1) رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه .

ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًّا، نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله.

** فجعل عمر رضي الله عنه يردد هذا الكلام حتىٰ سكن غضبه

فقال عمر: يا رسول الله كيف بمن يصوم الدهر كله؟

قال ﷺ : لا صام ولا أفطر. أو قال: لم يصم ولم يفطر (يعنىٰ لم يكتب له أجر الصيام فكأنه لم يصم، وامتنع عن الطعام والشراب في النهار فهو لم يفطر)

قال عمر: كيف من يصوم يومين ويفطر يومًا؟

قال ﷺ : ويطيق ذلك أحد (استفهام إنكاري بمعنىٰ لا يطيق ذلك أحد مع المداومة والمحافظة علىٰ الحقوق والواجبات الأخرىٰ)

قال عمر: كيف من يصوم يومًا ويفطر يومًا؟

قال ﷺ : ذاك صوم داود عليه السلام

قال: كيف من يصوم يومًا ويفطر يومين؟

قال ﷺ : وددت أني طوقت ذلك (يعنىٰ وددت أنني والمقتدين بي ذلك).

** ثم قال رسول الله ﷺ : ثلاث من كل شهر، ورمضان إلىٰ رمضان، فهذا صيام الدهر كله، صيام يوم عرفة أحتسب علىٰ الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء أحتسب علىٰ الله أن يكفر السنة التي قبله(1).

.. انتبه :

قال العلماء: سبب غضبه ﷺ أنه كره مسألته؛ لأنه يحتاج إلىٰ أن

(1)رواه مسلم عن أبىٰ قتادة الأنصاري رضي الله عنه .

يجيبه ويخشىٰ من جوابه مفسدة، وهي أنه ربما اعتقد السائل وجوبه أو استقله أو اقتصر عليه، وكان يقتضي حاله أكثر منه ، وإنما اقتصر عليه النبي ﷺ لشغله بمصالح المسلمين وحقوقهم وحقوق أزواجه وأضيافه والوافدين إليه، لئلا يقتدي به كل أحد فيؤدي إلىٰ الضرر في حق بعضهم، وكان حق السائل أن يقول: كم أصوم أو كيف أصوم؟ فيخص السؤال بنفسه ليجيبه بما تقتضيه حاله ، كما أجاب غيره بمقتضىٰ أحوالهم. والله أعلم(1) .

.. صيام التطوع :

من رحمة الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بعباده أن شرَع لهم مع كل فريضة نافلة من جِنسها لتكون جابرة لما قد يكون وقع فيها من خلل، ومُتمِّمة لما قد يكون فيها من نقص لذا فقد شرع الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بعد فرضه نوافل متنوعة، كما أن الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ يُنوِّع لعباده العبادات لتسهُل عليهم، وليَغتنِموا الفرص للتقرُّب إليه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بما يُناسبهم ويسهل عليهم، ومن ذلك ما شرعه من أنواع الصيام المختلفة في أيام السنَة.ولصيام التطوع أنواع كثيرة، منها سُنية صيام ستة أيام من شوال ، صيام يوم عرَفة، وهو اليوم التاسع من شهر ذي الحجَّة؛ وصيام يومِ عاشوراء، وهو اليوم العاشر من شهر محرَّم، وصيام ثلاثة أيام من كلَ شهر، وصيامُ يومٍ وإفطار يومين، وصيامُ يوم وإفطار يوم.

فصوم التطوعَ سنة وقربة عظيمة، فالنبي ﷺ قال لأبي أمامة رضي الله عنه : عليك بالصوم فإنه لا مثل له(2)، فالصوم له شأن عظيم، فينبغي

(1)شرح النووي علىٰ مسلم .

(2) رواه النسائي .

للمؤمن أن يكثر التعبد بتلك النوافل، لأن الله تعالىٰ يؤمِّن من يكثر الصيام من عذاب جهنم، ويبعد وجهه عن النار مسيرة سبعين عاما، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ : ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم عن وجهه النار سبعين خريفًا"(1).

(6) ترك رخص الله تعالىٰ:

** صنع رسول الله ﷺ أمرًا فترخص فيه (أي اختار الرخصة واليسر) فبلغ ذلك ناسًا من أصحابه، فكأنهم كرهوه وتنزهوا عنه، فبلغه ﷺ ذلك، فغضب حتىٰ بان الغضب في وجهه ،وقام خطيبًا ثم قال: ما بال (البال هو الحال والاستفهام هنا إنكاري توبيخي) أقوام يرغبون عما رخص لي فيه! فو الله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية(2) .

.. فكأنهم كرهوه وتنزهوا عنه :

عندما تنزه بعض الناس عن رخصة رسول الله ﷺ بحجة أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فإذا ترخص فى شئ لم يكن غيره مثله ممن لم يغفر له ذلك إذ يحتاج الذي لم يغفر له إلىٰ الأخذ بالعزيمة والشدة لينجو، فعندما علم ﷺ غضب، ولجأ إلىٰ المنبر ينبه الجميع إلىٰ الترفق بأنفسهم، ويدعو إلىٰ الترخيص برخص الله اقتداءً به ﷺ فهو أعلم الناس بالله وهو أتقاهم وأخشاهم لله، فهو رسول وسط لأمة وسط؛ لذلك فالقرب إليه سبحانه وتعالىٰ والخشية له علىٰ

(1) متفق عليه .

(2)رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها .

حسب ما أمر، لا بمخيلات النفوس وتكلف أعمال لم يأمر بها، فإن المنتهك متأوِّلٌ تأويلًا باطلًا.

..لطيفة :

(فو الله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية) جمع بين العلم بالله وشدة الخشية له، ليجمع بين القوة العملية والقوة العلمية .

.. انتبه :

الحديث يحث المسلمين على الاقتداء بالنبي ﷺ في أفعاله وأقواله، والأصل فيه قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب]، وقوله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر :7]، وأن الخير في الاتباع سواء كان ذلك في العزيمة أو الرخصة، كما يذم المغالاة والغلو في الدين حتى تجاوز الحد قال ﷺ: إياكم والغلو في الدين ، فإنما أهلك من قبلكم الغلو في الدين(1).

.. اعلم :

استعمال الرخصة بقصد الاتباع في المحل الذي وردت فيه أولى من استعمال العزيمة.

.. قف :

التنزه عما ترخص فيه ﷺ من أعظم الذنوب، لأنه يرى نفسه أتقى لله من رسوله ﷺ

(1)رواه النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(7) عدم الاقتداء به :

** جاء رجلٌ إلى بيت رسول الله ﷺ فقال وهو واقف على الباب: يا رسول الله إني أصبح جنباً وأنا أريد الصيام.

فقال رسول الله ﷺ : وأنا أصبح جنبًا وأنا أريد الصيام فأغتسل وأصوم.

فقال الرجل: يا رسول الله إنك لست مثلنا، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فغضب رسول الله ﷺ وقال: والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتبع(1).

.. وأنا أصبح جنبًا وأنا أريد الصيام فأغتسل وأصوم :

أولًا: ينبغي أن يُعلم أن الأصل فيما فعله النبي ﷺ أنه تشريع للأمة، ولا يجوز القول بأنه خاص بالنبي ﷺ إلا بدليل صحيح يدل على ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: 21]، وعملًا بهذا الأصل ، كان الصحابة رضي الله عنهم يقتدون بالنبي ﷺ فيما فعله ، ولم يكونوا يسألونه هل هذا الفعل خاص به أم لا ؟ ومما يدل على ذلك قول أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَلَّى فَخَلَعَ نَعْلَيْهِ ، فَخَلَعَ النَّاسُ نِعَالَهُمْ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ : لِمَ خَلَعْتُمْ نِعَالَكُمْ؟.

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْنَاكَ خَلَعْتَ فَخَلَعْنَا، قَالَ: إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ بِهِمَا خَبَثًا، فَإِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيَقْلِبْ نَعْلَهُ فَلْيَنْظُرْ فِيهَا ، فَإِنْ رَأَى بِهَا خَبَثًا فَلْيُمِسَّهُ بِالْأَرْضِ ، ثُمَّ لِيُصَلِّ فِيهِمَا(2) .

(1) رواه أحمد بن حنبل في المسند عن عائشة رضي الله عنها .

(2) رواه أحمد .

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: "ولا يجوز أن يقال في شيء فعله عليه السلام أنه خصوص له إلا بنص في ذلك؛ لأنه عليه السلام قد غضب علىٰ من قال ذلك، وكل شيء أغضب رسول الله ﷺ فهو حرام" انتهىٰ[1].

وقال ابن القيم رحمه الله:" الأصل: مشاركة أمته له في الأحكام، إلا ما خصه الدليل، ولذلك قالت أُمُّ سلمة رضي الله عنها : اخرُجْ ولا تُكَلِّمْ أحدًا حتىٰ تَحْلِقَ رأسك وتنحر هَدْيك. وعلمت أن الناس سيتابعونه" انتهىٰ[2].

ثانيًا: من الأحكام الخاصة به ﷺ : التزوج من غير مهر ولا ولي ، والتزوج بأكثر من أربع، ووصال الصوم لأكثر من يوم، وقوله ناهيًا لهم: (إني لست كهيئتكم) [3]، ومثل نومه عليه السلام وصلاته دون تجديد وضوء، فسُئِل عليه السلام عن ذلك، فقال: (عيناي تنامان، ولا ينام قلبي)[4].

قال ابن حزم: فما جاء فيه بيان كما ذكرنا: فهو خصوص، وما لم يأت فيه نص كما قلنا: فلنا أن نتأسىٰ به عليه السلام ، ولنا في ذلك الأجر الجزيل، ولنا أن نترك غير راغبين عن ذلك، فلا نأثم، ولا نؤجر" انتهىٰ [5].

(8) التدخل في النوايا:

** خرج عبدان (أي مملوكان) إلىٰ رسول الله ﷺ يعني يوم الحديبية قبل الصلح، فكتب إليه مواليهم (أي أسيادهم) فقالوا: يا محمد والله ما خرجوا إليك رغبة في دينك، وإنما خرجوا هربًا

(1) الإحكام في أصول الأحكام .
(2) زاد المعاد .
(3) رواه البخاري
(4) رواه مسلم .
(5) الإحكام في أصول الأحكام .

(خلاصًا) من الرق.

فقال ناس: صدقوا (أي مواليهم) يا رسول الله ردهم (أي عبيدهم) إليهم.

** فغضب رسول الله ﷺ وقال: ما أراكم (أي ما أظنكم) تنتهون (أي عن العصبية أو عن مثل هذا الحكم وهو الرد) يا معشر قريش حتىٰ يبعث الله عز وجل عليكم من يضرب رقابكم علىٰ هذا(أي علىٰ ما ذكر من التعصب أو الحكم بالرد). وأبىٰ أن يردهم.

وقال ﷺ : هم عتقاء الله عز وجل[1].

.. اعلم :

إنما غضب رسول الله ﷺ لأنهم عارضوا حكم الشرع فيهم بالظن والتخمين، وشهدوا لأوليائهم المشركين بما ادعوه أنهم خرجوا هربًا من الرق لا رغبة في الإسلام وكان حكم الشرع فيهم أنهم صاروا بخروجهم من ديار الحرب مستعصمين بعروة الإسلام أحرارًا لا يجوز ردهم إليهم، فكان معاونتهم لأوليائهم تعاونًا علىٰ العدوان(عون المعبود).

(9) عدم احترام القيادة :

** خرج عوف بن مالك الأشجعي مع زيد بن حارثة رضي الله عنهما في غزوة مؤتة، فرافقه (أي صار رفيقا له) مددي (يعني رجل من المدد الذين جاءوا يمدون جيش مؤتة ويساعدونهم) من أهل اليمن ليس معه غير سيفه

**نحر رجل من المسلمين جزورًا (أي بعيرًا) فسأله المددي

(1) رواه الإمام مالك وأحمد وأبو داود وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(رفيق عوف) طائفة (أي قطعة) من جلده فأعطاه إياه، فاتخذه كهيئة الدرق (أي السير)

** التقيا المسلمون بجموع الروم، وكان فيهم رجل علىٰ فرس له أشقر(أي أحمر) عليه سرج مذهب (أي مطلي بالذهب) وسلاح مذهب فجعل الرومي يفري (أي يبالغ في النكاية والقتل) بالمسلمين فقعد له المددي خلف صخرة فمر به الرومي فعرقب فرسه (أي قطع قوائمها) فخر وعلاه فقتله وحاز(أي جمع) فرسه وسلاحه.

** لما فتح الله ـ عز وجل ـ للمسلمين بعث خالد بن الوليد قائد المسلمين إلىٰ المددي فأخذ منه بعض السلب.

** أتىٰ عوف بن مالك إلىٰ خالد بن الوليد فقال له : يا خالد أما علمت أن رسول الله ﷺ قضىٰ بالسلب للقاتل؟

قال خالد بن الوليد: بلىٰ، ولكني استكثرته (أي زعمته كثيرًا)

قال عوف : لتردنه عليه أو لأعرفنكها (أي لأجازينك بها حتىٰ تعرف سوء صنيعك، وهي كلمة تقال عند التهديد) عند رسول الله ﷺ

فأبىٰ خالد بن الوليد أن يرد علي المددي ما أخذه منه

** اجتمع خالد بن الوليد وعوف بن مالك عند رسول الله ﷺ فقص عوف علي رسول الله ﷺ قصة المددي وما فعل خالد فقال رسول الله ﷺ : يا خالد ما حملك علىٰ ما صنعت؟

قال خالد : يا رسول الله استكثرته

فقال رسول الله ﷺ : يا خالد رد عليه ما أخذت منه

** فمر خالد بن الوليد بعوف فجر بردائه ثم قال: هل أنجزت لك ما ذكرت لك من رسول الله ﷺ (أي لابد أن أشتكي منك إلىٰ رسول

الله ﷺ) .

فسمعه رسول الله ﷺ فاستغضب فقال: لا تعطه يا خالد، لا تعطه يا خالد، هل أنتم تاركوا لي أمرائي (أي الأمراء الذين أمرتهم عليكم تتركونهم بمخالفتهم وعدم متابعتهم وليس صنيعكم هذا لائقًا بشأن الأمراء) إنما مثلكم ومثلهم كمثل رجل استرعىٰ إبلًا أو غنمًا (أي طولب برعيها) فرعاها ثم تحين سقيها فأوردها حوضًا فشرعت فيه فشربت صفوه وتركت كدره ، فصفوه (خلاصة الشيء وما صفا منه) لكم وكدره (الكدر بالتحريك ضد الصافي) عليهم [1].

.. قف :

قال النووي: "وهذا الحديث قد يستشكل من حيث إن القاتل قد استحق السلب، فكيف منعه إياه؟ ويجاب عنه بوجهين:

أحدهما: لعله أعطاه بعد ذلك للقاتل، وإنما أخره تعزيرًا له ولعوف بن مالك لكونهما أطلقا ألسنتهما في خالد رضي الله عنه وانتهكا حرمة الوالي ومن ولاه.

الوجه الثاني: لعله استطاب قلب صاحبه فتركه صاحبه باختياره، وجعله للمسلمين، وكان المقصود بذلك استطابة قلب خالد رضي الله عنه للمصلحة في إكرام الأمراء[2] .

.. فصفوه لكم وكدره عليهم :

معناه أن الرعية يأخذون صفو الأمور فتصلهم أعطياتهم بغير نكد، وتبتلىٰ الولاة بمقاساة الناس وجمع الأموال علىٰ وجوهها وصرفها في

(1)رواه مسلم وأحمد وأبو داود .. عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه .
(2) شرح النووي علىٰ مسلم .

وجوهها، وحفظ الرعية والشفقة عليهم والذب عنهم وإنصاف بعضهم من بعض، ثم متىٰ وقع علقة أو عتب في بعض ذلك توجه علىٰ الأمراء دون الناس انتهىٰ.

.. لا تعطه يا خالد، هل أنتم تاركوا لي أمرائي :

هذا موقف عظيم من النبي ﷺ في حماية القادة والأمراء من أن يتعرضوا للإهانة بسبب الأخطاء التي قد تقع منهم، فهم بشر معرضون للخطأ، فينبغي السعي في إصلاح خطئهم من غير تنقص ولا إهانة، فخالد بن الوليد حين يمنع ذلك المجاهد سلبه لم يقصد الإساءة إليه، وإنما اجتهد فغلَّب جانب المصلحة العامة، حيث استكثر ذلك السلب علىٰ فرد واحد، ورأىٰ أنه إذا دخل في الغنيمة العامة نفع عددًا أكبر من المجاهدين، وعوف بن مالك أدىٰ مهمته في الإنكار علىٰ خالد، ثم رفع الأمر إلىٰ رسول الله ﷺ حينما لم يقبل خالد قوله، وكان المفترض أن تكون مهمته قد انتهت بذلك؛ لأنه والحال هذه قد دخل في أمر من أوامر الإصلاح، وقد تم الإصلاح علىٰ يديه، ولكن عوف تجاوز هذه المهمة حيث حول القضية من قضية إصلاحية إلىٰ قضية شخصية، فأظهر شيئًا من التشفي من خالد، ولم يقره النبي ﷺ علىٰ ذلك، بل أنكر عليه إنكارًا شديدًا وبيَّن حق الولاة علىٰ جنودهم، وكون النبي ﷺ أمر خالدًا بعدم رد السلب علىٰ صاحبه لا يعني أن حق ذلك المجاهد قد ضاع؛ لأنه لا يمكن أن يأخذ رسول الله ﷺ إنسانًا بجريرة غيره، فلا بد أن ذلك المجاهد قد حصل منه الرضا، إما بتعويض عن ذلك السلب أو بتنازل منه أو غير ذلك فيما لا يذكر تفصيله في الخبر.

إن الأمة التي لا تقدر رجالها ولا تحترمهم لا يمكن أن يقوم فيها نظام، إن التربية النبوية استطاعت بناء هذه الأمة بناء سليمًا، وما أحرىٰ المسلمين اليوم أن يكون كل إنسان في مكانه، وأن يحترم ويقدر بمقدار ما يقدم لهذا الدين، ويبقىٰ الجميع بعد ذلك في الإطار العام الذي وصف الله به المؤمنين:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة].

وفي قوله ﷺ : هل أنتم تاركون لي أمرائي . وسام آخر يضاف إلىٰ خالد رضي الله عنه حيث عد من أمراء الرسول ﷺ ، وهذا من المنهاج النبوي الكريم في تقدير الرجال[1] .

.. فائـدة :

نلاحظ أن خالد بن الوليد رضي الله عنه لما أخطأ في اجتهاده بمنع القاتل من السلب الكثير أمر النبي ﷺ بوضع الأمر في نصابه بإعادة الحق إلىٰ صاحبه، ولكنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ غضب لما سمع عوفًا رضي الله عنه يعرض بخالد وتيهكم عليه بقوله: هل أنجزت لك ما ذكرت لك من رسول الله ﷺ ، وكان عوف قد جر برداء خالد لما مر بجانبه، فقال ﷺ: لا تعطه يا خالد، وهذا من باب رد الاعتبار إلىٰ الأمير والقائد لأن في حفظ مكانته بين الناس مصلحة ظاهرة.

(10) الخلاف حول القدر :

** خرج رسول الله ﷺ علىٰ بعض الصحابة وهم يتنازعون (أي

---

(1) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث.

يبحثون ويختلفون) في القدر (أي في شأنه) فغضب حتىٰ احمر وجهه (أي نهاية الاحمرار) حتىٰ (أي حتىٰ صار من شدة حمرته) كأنما فقئ (أي شق أو عصر) في وجنتيه (أي خديه) الرمان (أي حبه ،كناية عن مزيد حمرة وجهه المنبئة عن مزيد غضبه) فقال ﷺ : أبهذا (أي بالتنازل في القدر) أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر ، عزمت (أي أقسمت أو أوجبت) عليكم، عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه (أي في القدر لا تبحثوا فيه بعد هذا) (1)

.. عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه :

الإيمان بالقدر فرض لازم، وهو أن يعتقد أن الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ خالق أعمال العباد خيرها وشرها وكتبها في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم، والكل بقضائه وقدره وإرادته، غير أنه يرضىٰ الإيمان والطاعة ووعد عليهما الثواب ولا يرضىٰ الكفر والمعصية وأوعد عليهما العقاب. والقدر سر من أسرار الله تعالىٰ لم يطلع عليه ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌ مرسلٌ، ولا يجوز الخوض فيه والبحث عنه بطريق العقل، بل يجب أن يعتقد أن الله تعالىٰ خلق الخلق فجعلهم فرقتين فرقة خلقهم للنعيم فضلًا وفرقة للجحيم عدلًا، وسأل رجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: أخبرني عن القدر. قال: طريق مظلم لا تسلكه، وأعاد السؤال فقال: بحر عميق لا تلجه، وأعاد السؤال فقال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه (2) .

(1) رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه .
(2) تحفة الأحوذي .

ولما سئل الإمام أحمد عن القدر قال: القدر قدرة الرحمن . والإيمان بالقدر يشمل درجتين:(الدرجة الأولىٰ) الإيمان بأن الله تعالىٰ علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلًا، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال، ثم كتب الله تلك المقادير في اللوح المحفوظ قال تعالىٰ ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق] وقال ـ ﷺ : كتب الله تعالىٰ مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات و الأرض بخمسين ألف سنة وعرشه علىٰ الماء(1)،(الدرجة الثانية) فهي الإيمان بمشيئة الله ـ عز وجل ـ النافذة وقدرته الشاملة ، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السماوات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئته سبحانه، ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته، وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين، ويرضىٰ عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين، ولا يرضىٰ عن القوم الفاسقين، ولا يرضىٰ لعباده الكفر ولا يحب الفساد والمفسدين ، والعباد فاعلون حقيقة والله خلق أفعالهم وللعباد قدرة علىٰ أعمالهم ولهم إرادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم (2) .

ذاك ما يحتاج إليه المؤمن في القضاء والقدر، فيكفيه أن يعلم معناه ودرجاته وأن يؤمن به، وأن الله عليم بكل شيء وخالق كل شيء، وما لم يشأ لم يكن، وأنه عادل لا يظلم أحدًا، وأنه حكيم منزه من العبث، ولا

(1) رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو .
(2) الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية .

يحتاج هذا الموضع إلىٰ أكثر من ذلك وما علم الله حاجتنا إليه بينه لنا وما طواه عنا لا يجوز أن نتكلف البحث عنه فنختلف ونهلك، فإن عقولنا محدودة خلقها الله للإسهام في عمارة الدنيا وليست وظيفتها اكتشاف الغيب الذي استأثر بعلمه خالقها، وليس أمامنا إلا التسليم والإيمان بما يعرفنا الله عليه من أمور الغيب وقضاياه ومن هذه القضايا: الصلة بين خلق الله للأفعال وإرادة الإنسان وفعله لهذه الأفعال، وليست هذه هي القضية الغيبية الوحيدة التي لا يدرك العقل كنهها، فصفات الله عز وجل ندرك آثارها ولا ندرك كيفيتها شأنها شأن الذات الإلهية التي لا يستطيع العقل البشري إدراكها (تبسيط العقائد الإسلامية)، ولهذا نهىٰ النبي في هذا الحديث الجليل عن الخوض في القدر والعمق فيه.

.. للإيمان بالقدر فوائد منها :

1/ أنه من تمام الإيمان ولا يتم الإيمان إلا بذلك

2/ أنه من تمام الإيمان بالربوبية لأن قدر الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ من أفعاله .

3/ رد الإنسان أموره إلىٰ ربه ـ عز وجل ـ لأنه إذا علم أن كل شيء بقضائه وقدره فإنه سيرجع إلىٰ الله في دفع الضراء ورفعها ، ويضيف السراء إلىٰ الله، ويعرف أنها من فضل الله عليه

4/ هون المصائب علىٰ العبد لأن الإنسان إذا علم أنها من عند الله ـ عز وجل ـ هانت عليه المصيبة كما قال تعالىٰ ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:11] قال علقمة رحمه الله: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضىٰ ويسلم(1) .

(1) أخرجه الطبري .

5/ إضافة النعم إلىٰ مسديها، لأنك إذا لم تؤمن بالقدر أضفت النعم إلىٰ من باشر الإنعام، وهذا يوجد كثيرًا في الذين يتزلفون إلىٰ الملوك والأمراء والوزراء فإذا أصابوا منهم ما يريدون جعلوا الفضل إليهم ونسوا فضل الخالق، صحيح أنه يجب علىٰ الإنسان أن يشكر الناس لكن يعلم أن الأصل كل الأصل هو فضل الله عز وجل جعله علىٰ يد هذا الرجل

6/ أن الإنسان يعرف به حكمة الله ـ عز وجل ـ لأنه إذا نظر في هذا الكون وما يحدث فيه من تغييرات باهرة عرف بهذا حكمة الله ـ عز وجل ـ بخلاف من نسي القضاء والقدر فإنه لا يستفيد هذه الفائدة (1) .

(11) البصق في المسجد

1/ رأىٰ رسول الله ﷺ نخامة في قبلة المسجد فغضب حتىٰ احمر وجهه، فقامت امرأة من الأنصار فحكتها وجعلت مكانها خلوقًا (أي طيبًا) فقال رسول الله ﷺ : ما أحسن هذا (2)

2/ بينما النَّبي ﷺ ـ يصلي رأىٰ في قبلة المسجد نخامة، فشق ذلك عليه، حتىٰ رؤىٰ ذلك في وجهه، فقام فحكها بيده، ثم قال: إن أحدكم إذا قام في الصلاة فإنما يناجي ربه، فإن ربه بينه وبين القبلة، فلا يبصقن أحدكم قِبل قبلته، ولكن عن يساره أو تحت قدمه. ثم أخذ طرف ردائه فبزق فيه ثم رد بعضه علىٰ بعض فقال: أو يفعل هكذا(3)

3/ رأىٰ رسول الله ﷺ نخامة في قبلة المسجد فاستبرأها بعود

(1) شرح العقيدة الواسطية .
(2) رواه النسائي وصححه الألباني،عن أنس بن مالك رضي الله عنه.
(3) رواه البخاري ومسلم وعن أنس رضي الله عنه .

معه ، ثم أقبل علىٰ القوم يعرفون الغضب في وجهه فقال : أيكم صاحب هذه النخامة؟

فسكتوا ، فقال ﷺ : أيحب أحدكم إذا قام يصلي أن يستقبله رجل فيتنخع في وجهه

فقالوا: لا

فقال ﷺ : فإن الله عز وجل بين أيديكم في صلاتكم فلا توجهوا شيئًا من الأذىٰ بين أيديكم ولكن عن يسار أحدكم أو تحت قدمه(1).

بينما النَّبي ﷺ يصلي رأىٰ في قبلة المسجد نخامة، فشق ذلك عليه :

لما كانت المساجد أمكنة العبادة والتقرب إلىٰ الله تعالىٰ بالطاعة، ورد الأمر بصيانتها، وحفظها عن الأقذار والنجاسات والفضلات، حتىٰ تحظىٰ بالنظافة والحسن والجمال.

وهناك أحاديث كثيرة تدل علىٰ النهىٰ عن البصاق والتنخم في المسجد، وفي بعضها تخصيص النهي بأن يبصق في القبلة أو عن اليمين، والإذن في البصاق عن اليسار أو تحت القدم اليسرىٰ، ثم دلكها بالقدم، ولا شك أن البصاق والنخامة مما يستقذر في الطباع، ولذلك غضب النبي ﷺ لما رأىٰ البصاق في قبلة المسجد، حتىٰ احمر وجهه، وسارع إلىٰ حكه ثم لطخ مكانه بخلوق أو زعفران.

وقد علم أن المسجد إذا كان مبنيًا من الطين، فحكه يسير، وأن الأرض ترابية يمكن دفن ما يقع فيها، أو إخراج ترابه المستقذر، وحيث إن المساجد في هذه الأزمنة قد أصبحت مبلطة، ومفروشة في الغالب بفرش نظيفة، تتأثر بالوسخ والقذر، ويظهر فيها أثر النخامة

(1) رواه ابن خزيمة في صحيحه عن أبىٰ سعيد الخدري رضي الله عنه .

والدم والصديد ونحو ذلك، تعين المنع من البصاق فيها علىٰ الأرض مطلقًا، سواء علىٰ الفرش أو في الحيطان، أو علىٰ البلاط، فمن بدره بصاق أو نخام فعليه أن يخرج لذلك، أو يبصق في منديل ويخرجه، أو في طرف ثوبه ويرد بعضه علىٰ بعض كما ذكر في الحديث، حتىٰ يبقىٰ المسجد نظيفًا طيبًا.

وقد ورد أن النبي ﷺ قال : من أخرج أذىٰ من المسجد بنىٰ الله له بيتا في الجنة(1) .

ويلحق بالبصق كل ما له رائحة منتنة مؤذية كدخان السجائر والحذاء المتسخة التي تحمل قذرا أو نجاسة، أو لوثا ووسخا تتسخ بها فرش المسجد وسجاده، وأرضه النظيفة، وكذلك شراب القدم

(12) لبس الثياب الغير لائقه :

** أتىٰ عبد الله بن عمرو النبي ﷺ وعليه ثوبان معصفران فغضب النبي ﷺ وقال: أمُّك أمَرَتْكَ بهذا؟

قلتُ: اغْسلُهما يا رسول الله؟

قال: اذهب فاطرحهما عنك

قال: أين يا رسول الله؟

قال: في النار(2)

عليه ثوبان معصفران فغضب النبي ﷺ :

الثوب المعصفر هو المصبوغ بالعصفر- وهو نبات يصبغ صباغًا أحمر- ولهذا كان غالب ما يصبغ بالعصفر يكون أحمر، كما قال

(1) رواه ابن ماجه عن أبي سعيد رضي الله عنه .

(2) رواه مسلم والنسائي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

الحافظ ابن حجر، ولبسه مباح للنساء، محظور علىٰ الرجال.

ولقد جاءت شريعتنا بتحريم تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال، بل وجاء التغليظ في النهي عن ذلك حتىٰ لعن النبي ﷺ أولئك المخالفين للفطرة التي خلقهم الله تعالىٰ عليها ، كما في الحديث ،ولا شك أن من أبين مظاهر تخنث الرجل لبسه ما تلبس النساء، وتقليده لهن في عاداتهن . فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لعَنَ رسُول اللهِ ﷺ الرَّجُلَ يلبَس لِبْسَةَ المرأةِ والمرأَةَ تلبَس لِبسَة الرَّجل [1].

فالأمور ثلاثة أقسام: قسم مشترك بين الرجال والنساء من أصناف اللباس وغيره، فهذا جائز للنوعين؛ لأن الأصل الإباحة. ولا تشبه فيه. قسم مختص بالرجال، فلا يحل للنساء. قسم مختص بالنساء، فلا يحل للرجال.

ومظاهر تشبه النساء بالرجال والعكس تظهر في اللبس وطريقة الكلام والمشي وقصات الشعر، وللتشبه أسباب عديدة يكمن إجمالها فيما يلي: نقص الإيمان وقلة الخوف من الله ، التربية السيئة ، وسائل الإعلام، التقليد الأعمىٰ، رفقاء ورفيقات السوء، النقص النفسي، حُب لفت الأنظار، القدوة السيئة، انعدام الغيرة من الزوج أو الولي (للمرأة).

(13) الصور والتماثيل :

** قَدِمَ رسولُ الله ﷺ مِنْ سَفرٍ، فدخل ﷺ بيت عائشة بنت أبىٰ بكر، وقد سترت سهوة (السَّهْوَةُ: الطاقة في الحائط أو الشباك) لها بقرام (القرام: الستارة) فيه صور (أو تماثيل)، فلما رأىٰ ﷺ تلك الصور تلوَّن وجهه، ثم تناول الستر فهتكه (هَتكَه: أَفْسَدَ الصُّورَةَ الَّتي فِيهِ) .

(1) رواه أبو داود .

وقال ﷺ : يا عائشة من أشد النَّاس عذابًا يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور أو الذين يضاهون بخلق الله (أي يشبهون ما يضعونه بما يصنعه الله) .

قالت عائشة: فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين فقد رأيته متكئًا علىٰ إحداهما وفيها صورة[1].

.. من أشد النَّاس عذابًا يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور أو الذين يضاهون بخلق الله :

(1) ما يحرم من الصور والتماثيل علىٰ سبيل المثال :

أولًا: التماثيل المجسّمة إذا كانت لذي روح من إنسان أو حيوان يحرم بالإجماع لقول الرسول ﷺ: إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب، ولا صورة، ولا تماثيل، ولا جنب[2].

ثانيًا: الصورة المصوّرة باليد لذي روح: حرام بالاتفاق لقوله ﷺ : إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم[3].

ثالثًا: الصورة إذا كانت كاملة الخلق بحيث لا ينقصها إلا نفخ الروح حرام كذلك بالاتفاق لقوله ﷺ : من صوّر صورة أُمر أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ[4].

(2) ما يباح من الصور والتماثيل:

أ- كل صورة أو تمثال لما ليس بذي روح كتصوير الجمادات،

(1) رواه البخاري ومسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .
(2) رواه أبو داود والترمذي .
(3) متفق عليه .
(4) متفق عليه .

والأنهار والأشجار، والمناظر الطبيعية التي ليست بذات روح فلا حرمة في تصويرها لقول ابن عباس رضي الله عنهما حين سأله الرجل إني أصوّر هذه الصور فأفتني فيها؟... فأخبره بحديث رسول الله ﷺ ، ثم قال له ابن عباس: إن كنت لا بدَ فاعلًا فصوّر الشجر، وما لا روح له(1).

ب- كل صورة ليست متصلة الهيئة كصورة اليد وحدها مثلًا، أو العين، أو القدم، فإنها لا تحرم لأنها ليست كاملة الخلق، لحديث عائشة: فقطعتها فجعلت منها وسادتين فلم يعب ﷺ ذلك علي(2).

ح- ويستثنىٰ من التحريم لعب الأولاد الصغار التي تصنع علىٰ شكل عرائس أو قطط أو غير ذلك من السباع والحيوانات

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ ، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل ينقمعن منه فيسرّبُهنّ إليّ فيلعبن معي(3).

(3) علة تحريم التصوير:

الأحاديث لم تذكر إلا علة واحدة للتحريم وعبرت الأحاديث عنها بهذه الألفاظ: يضاهون بخلق الله" ـ ويشبهون بخلق الله " ـ ويخلق خلقًا كخلقي"ـ وممثل من الممثلين" أي مصور من المصورين.

فإذًا علة التحريم هي المضاهاة. ومعنىٰ المضاهاة: يضاهون أي يشبهون.

---

(1) رواه مسلم .

(2) رواه الستة .

(3) رواه البخاري .

(4) أما العقوبات الشرعية للتصوير والصور فتتلخص فيما يلي:

1ـ اللعن وهو أشدها نسأل الله العافية.

2ـ أن المصور من أشد الناس عذابًا يوم القيامة.

3ـ أن المصور يعذب يوم القيامة يقال له أحيي ما خلقت.

4ـ أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة.

5ـ أن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون حتىٰ ينفخوا فيها الروح وما هم بنافخين.

6ـ في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس تعذبه في جهنم.

وهذا التنويع الرهيب في تعذيب المصور يعطي انطباعًا واضحًا عن شدة كراهة الرب عز وجل للتصوير والصور ويجعل التصوير من أشد المحرمات ومن كبائر الذنوب.

(5) التصوير الفوتوغرافي:

التصوير الفوتوغرافي: هو حبس ونقل الصورة الواقعية بعد تسليط الضوء عليها، ومن هنا سمي: التصوير الشمسي.

وقد ذهب إلي عدم تحريم التصوير الفوتوغرافي عدد كبير من أهل العلم من المعاصرين. منهم: ابن عثيمين، محمد نجيب مطيعي وغيرهما(مجموع فتاوىٰ ورسائل العثيمين). واستدلوا بأدلة كثيرة منها:

1- أن الصورة الفوتوغرافية لا تدخل في مسمىٰ الصورة لغةً ولا شرعًا:

أما في اللغة فلأن التصوير في اللغة هو التشكيل والتخطيط وإظهار براعة الراسم وهذا لا يوجد في الصورة الفوتوغرافية؛ لأن غاية الصورة

الفوتوغرافية نقل الصورة المخلوقة لله فلذلك: ليس فيها أي معنىٰ من معاني المضاهاة وهي تخلو تماماً من التخطيط والتشكيل المباشر.

أما شرعًا فلأن علة التحريم وجود المضاهاة وفي التصوير الفوتوغرافي لا يوجد أي معنىٰ من معاني المضاهاة لأن الصورة الفوتوغرافية هي نفس الخلق الأول وتقدم تقرير هذا بوضوح عند الكلام عن علة التحريم.

2- أن الصورة في المرآة وعلىٰ سطح الماء جائزة بالإجماع فكذلك الصورة الفوتوغرافية للتساوي والتطابق بينهما(1).

وبذلك فالتصوير الفوتوغرافي لا يدخل تحت النصوص الشرعية الدالة علىٰ تحريم التصوير لأنه لا يدخل في المضاهاة التي نص النبي ﷺ علىٰ أنها علة، وإنما هو مجرد حبس للظل، ليس فيه أي معنىٰ من معاني المضاهاة.

(14) كثرة الخلاف :

1/ يقول عبد الله بن مسعود: أقرأني رسول الله ﷺ سورة من الثلاثين من آل حم (يعني الأحقاف)، فرحت إلىٰ المسجد فإذا رجل يقرؤها علىٰ غير ما أقرأني (اىٔ رسول الله ﷺ) فقلت: من أقرأك؟

فقال: رسول الله ﷺ .

فقال لآخر: اقرأها.

فقرأها علي غير قراءتي وقراءة صاحبي، فانطلقت بهما إلىٰ النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن هذين يخالفاني في القراءة

فغضب وتمعَّر وجهه وقال ﷺ : إنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف .

(1) روائع البيان تفسير آيات الأحكام للصابوني .

وكان عنده عليٌّ رضي الله عنه فقال: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما أقرئ، فإنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف(1).

.. لفتة :

وكانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سميت الثلاثين

2/ يقول عبد الله بن عمرو: هجرت (الهاجرة أي الظهيرة التهجير السير في الهاجرة وهي وقت شدة الحر(إلىٰ رسول الله ﷺ يومًا، قال : فسمع) أي :النبي ﷺ من حجرته (أصوات رجلين اختلفا في آية) أي : في معنىٰ آية متشابهة ، ويحتمل أن يكون اختلافهما في لفظها اختلاف قراءة فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب، فقال :إنما هلك من كان قبلكم أي من اليهود والنصارىٰ باختلافهم في الكتاب أي: المنزل علىٰ نبيهم بأن قال كل واحد منهم ما شاء من تلقاء نفسه(2) .

3/ يقول ابن مسعود: سمعت رجلًا يقرأ آية سمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها ، فأخذت بيده فانطلقت به إلىٰ رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فعرفت في وجهه الكراهة فقال: كلاكما مُحسن فلا تختلفوا (أي في القرآن) فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا (3).

.. كلاكما مُحسن فلا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا :

وقع بين القراء اختلاف كثير في الأصول والحروف، وكان هذا الاختلاف قديمًا جدًّا، حيث كان النبي ﷺ يُقرئ الناس بقراءات

(1) رواه أحمد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(2) رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(3) رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

مختلفة توسعة علىٰ الأمة، ورفعًا للحرج عنها.

وقد جاء عن النبي ﷺ من غير وجه التحذير من الاختلاف والفرقة في القراءة خاصة، وفي الدين عامة.

قال ابن تيمية-:" نهىٰ النبي ﷺ عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحد من المختلفين ما مع الآخر من الحق، لأنَّ كلا القارئَيْن كان محسنًا فيما قرأه، وعلَّل ذلك بأن من كان قبلنا اختلفوا فهلكوا".

فأفاد ذلك شيئين: أحدهما: تحريم الاختلاف في مثل هذا. والثاني: الاعتبار بمن كان قبلنا، والحذر من مشابهتهم.

اعلم أن أكثر الاختلاف بين الأمة الذي يُورِّث الأهواء تجده من هذا الضرب، وهو أن يكون كل واحد من المختلفين مصيبًا فيما أثبته أو في بعضه، مخطئًا في نفي ما عليه الآخر، كما أن القارئين كل منهما كان مصيبًا في القراءة بالحرف الذي علمه، مخطئًا في نفي حرف غيره، فإنَّ أكثر الجهل إنما يقع في النفي الذي هو الجحود والتكذيب، لا في الإثبات، لأن إحاطة الإنسان بما يثبته أيسر من إحاطته بما ينفيه(1) .

وما يقال عن الاختلاف في القراءة يقال عن الاختلاف في التفسير، فقد نُهيت الأمة عن الاختلاف في الكتاب، بمعنىٰ الاختلاف في تأويله، والخروج عن سبيل المؤمنين في ذلك، وكان الاختلاف في التأويل سببًا لاقتتال المسلمين، ولظهور الفرق الضالة كفرقة الخوارج والروافض.

قال ابن تيمية: ولهذا نُهيت الأمة أن تضرب آيات الله بعضها ببعض؛ لأن مضمون الضرب: الإيمان بإحدىٰ الآيتين والكفر

(1) اقتضاء الصراط المستقيم.

بالأخرىٰ، إذا اعتقد أن بينهما تضادٌ إذ الضدان لا يجتمعان.

ولكن الاختلاف حقيقة واقعة في القراءة والتفسير، وليس كل هذا الاختلاف داخل في الاختلاف المذموم الذي مقته النبي ﷺ وحذر أمته منه، ذلك لأن بعض صور الاختلاف في القراءة والتفسير ليست اختلافًا علىٰ الحقيقة، وإنما يعرف ذلك بمعرفة أنواع الاختلاف.

فقد ذكر أهل العلم أنَّ الاختلاف علىٰ نوعين: اختلاف تنوع في العبارة، واختلاف تضاد.

فالاختلاف الحقيقي هو اختلاف التضاد، فهو المذموم في الشريعة، وأما اختلاف التنوع ففيه بعض الفوائد، من حيث أن تنوع الأساليب والأمثلة يقرب الحقائق، ويسهل العلوم.

.. فائدة :

قال رسول الله ﷺ : أقرأني جبريل عليه السلام علىٰ حرف واحد فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتىٰ انتهىٰ إلىٰ سبعة أحرف(1) .

قوله سبعة أحرف يعني سبع لغات من لغات العرب.

(15) الخوف من فرض السنة :

❊❊ احتجر (أي حوط موضعًا من الْمَسْجِد) رسول الله ﷺ حجيرة(حجيرة: بِضَم الْحَاء تَصْغِير حجرَة) بخصفة (الخَصَفةُ: الثَّوب الغليظُ جدًّا)، أو حصيرًا (بساط من سعف النخل)، فخرج رسول الله - ﷺ يصلي فيها (يعني في هذه الحجيرة)، فتتبع إليه رجال (أي رجال يتتبعون فعله؛ ليقتدوا به، ويأتموا به)، وجاءوا يصلون بصلاته

❊❊ ثم جاءوا ليلةً فحضروا وأبطأ رسول الله -ﷺ عنهم، فلم

(1)رواه البخاري ومسلم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

يخرج إليهم، فرفعوا أصواتهم، وحصبوا الباب (أي رَمَوْهُ بالحصباء وَهِي الْحَصَا الصغار تَنْبِيهًا لَهُ وظنوا أنه نسي) .

** خرج إليهم رسول الله ﷺ مغضبًا، فقال لهم -ﷺ : ما زال بكم صنيعكم (يعني من الحرص علىٰ هذه الصلاة خلفي) حتىٰ ظننت أنه سيكتب عليكم (يعني ستفرض عليكم هذه الصلاة، ستفرض عليكم وتأثمون بتركها)، فعليكم بالصلاة في بيوتكم (يعني صلاة النوافل)، فإنَّ خير صلاة المرء في بيته، إلا الصلاة المكتوبة [1] .

.. قف :

النبي ﷺ احْتَجَرَ حُجْرَةً فِي مَوْضِعًا مِنَ الْمَسْجِدِ بِحَصِيرٍ لِيَسْتُرَهُ لِيُصَلِّيَ فِيهِ وَلا يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ مَارٌّ ولا يَتَهَوَّشَ بِغَيْرِهِ وَيَتَوَفَّرَ خُشُوعُهُ وَفَرَاغُ قَلْبِهِ ، وَفِيهِ جَوَازُ مِثْلِ هَذَا إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ تَضْيِيقٌ عَلَىٰ الْمُصَلِّينَ وَنَحْوِهِمْ وَلَمْ يَتَّخِذْهُ دَائِمًا لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَحْتَجِرُهَا بِاللَّيْلِ يصلي فيها وينحتها بِالنَّهَارِ وَيَبْسُطُهَا .

.. فَإِنَّ خَيْرَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِه إِلَّا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ :

قَوْلُهُ ﷺ (فَإِنَّ خَيْرَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ) هَذَا عَامٌّ فِي جَمِيعِ النَّوَافِلِ الْمُرَتَّبَةِ مَعَ الْفَرَائِضِ وَالْمُطْلَقَةِ إِلَّا فِي النَّوَافِلِ الَّتِي هِيَ مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَام وَهِيَ الْعِيدُ وَالْكُسُوفُ وَالِاسْتِسْقَاءُ وَكَذَا التَّرَاوِيحُ عَلَىٰ الْأَصَحِّ فَإِنَّهَا مَشْرُوعَةٌ فِي جَمَاعَةٍ فِي الْمَسْجِدِ وَالِاسْتِسْقَاءُ فِي الصَّحْرَاءِ .

وعن رجل من أصحاب محمد ﷺ قال: تطوُّعُ الرجل في بيتِهِ، يزيدُ

(1) رواه مسلم عن زيد بن ثابت رضي الله عنه .

علىٰ تطوُّعِه عندَ الناس، كفضْلِ صلاة الرجل في جماعةٍ علىٰ صلاتهِ وحدَه[1] .

أما بالنسبة للمكتوبة فحيث ينادىٰ بها في المساجد، فعَنْ عبد الله ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي رَجُلٌ ضَرِيرُ الْبَصَرِ شَاسِعُ الدَّارِ وَلِي قَائِدٌ لا يُلَائِمُنِي فَهَلْ لِي رُخْصَةٌ أَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِي ؟ قَالَ :هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ؟. قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فأجب (يعني حيث ينادىٰ بها) لَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً [2] .

.. انتبه جيدًا :

النبي ﷺ يقول هذا وهو في مسجده الذي فيه المضاعفة الصلاة بألف صلاة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلَّا المسجد الحرام[3] .

لذلك والصلاة في بيوت المدينة بالنسبة للنوافل أفضل من الصلاة في المسجد، حتىٰ قال بعض أهل العلم: إن المضاعفات إنما هي في الصلوات المفروضة لا في النوافل.

.. المصالح العظيمة المترتبة على صلاة النافلة في البيوت :

أولًا: عدم تشبيهها بالقبور

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : لا تجعلوا بيوتكم قبورًا[4] .

والمعنىٰ لا تجعلوا البيوت مثل المقابر لا تصلون فيها؛ لأنه من

(1) أخرجه عبد الرزاق وابن أبي شيبة وقال الألباني: هذا إسناد صحيح .
(2) رواه مسلم وأبو داود .
(3) رواه البخاري .
(4) رواه أبو داود .

المقرر عندهم أن المقابر لا يصلىٰ فيها، ويؤيده)"اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تجعلوها قبورًا") .

ثانيًا: حصول الخير في البيوت وحلول البركة :

فعن جابر قال رسول الله ﷺ : إذا قضىٰ أحدكم الصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيبًا من صلاته فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرا [1] .

(فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا) أي خيرًا كثيرًا عظيمًا لعمارة البيت بذكر الله وطاعته، وحضور الملائكة واستبشارهم، وما يحصل لأهله من ثواب وبركة

ثالثا: عدم التعرض لخاطر الرياء :

أن أداء النوافل في البيوت أبعد عن الرياء، وأطرد للشرك الأصغر الخفي، يقول الإمام ابن قدامة: "والتطوع في البيت أفضل؛ لأن الصلاة في البيت أقرب إلىٰ الإخلاص، وأبعد من الرياء، وهو من عمل السر" (المغني) وليس معنىٰ هذا أن صلاة النافلة في المسجد غير مقبولة، وإنما المقصود التعود علىٰ أدائها في البيت لأنه أفضل كما ذُكر.

رابعًا: الاقتداء :

متىٰ يتعلم النساء والصبيان الصلاة إذا لم يصل صاحب البيت في منزله؟. فالصلاة في البيت لا سيما الرواتب راتبة المغرب وراتبة العشاء وراتبة الصبح والتهجد هذه يقتدي به ما في البيت من نساء وأولاد، ويحسنون الصلاة قبل وجوبها بالنسبة للأولاد. والتعليم بالفعل أبلغ من التعليم بالقول، ، مما يدل علىٰ أن التعليم بالفعل له أثره الكبير في ثبوت

(1) رواه مسلم .

العلم، قول النبي ﷺ: صلوا كما رأيتموني أصلي [1] .

.. فائدة :

إذا لم يستطع المسلم أداء النافلة إلا حيث يراه الناس في المسجد فإنه يصليها ولا يفوت فضيلتها وهو مأجور إن شاء الله علىٰ حرصه ونيته الصالحة، فيكون كمن حبسه العذر عن فعل الأفضل، وقد ثبت في الشريعة أن من حبسه عذر شرعي عن عمل الطاعة، وكان في نيته لولا المانع أداؤها، فإنه يُكتب له ثوابها كما لو عملها.

.. إنها الرحمة :

الرسول ﷺ كان حريصًا علىٰ عدم مغالاة أصحابه في دين الله ـ عز وجل ـ، بل كان يريد عبادة ربه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بشيء فيتركه مخافة أن يقتدي به أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ فيشق عليهم وعلينا .

(16) التشفع في حدود الله :

** بنو مخزوم قوم لهم مكانة كبيرة في المجتمع القرشي، ويوم فتح مكة سرقت امرأة منهم، فقد كانت تستعير المتاع من الناس ثم تجحده وهذه سرقة احتالت فيها استعارت امرأة– تعنىٰ حليًّا– علىٰ ألسنة أناس يعرفون ولا تعرف هي، حليٌّ فباعته، فأخذت ثمنه

** أتي بها النبي ﷺ فأمر بقطع يدها. فاهتمت قريشٌ بشأنها ، فاجتمع ناس منهم فقالوا: من يكلم فيها (أىٰ يشفع لها) رسول الله ﷺ ، فقالوا: ومن يجترئ (يتجاسر عليه بطريق المَنّ) عليه إلا أسامة حبّ رسول الله ﷺ .

** كلم أسامة بن زيد رضي الله عنهما رسول الله ﷺ في شأن تلك المرأة ،

(1) رواه البخاري .

فتلون وجه (أي تغير غيظًا) رسول الله ﷺ وقال له: يا أسامة، أتشفع في حد من حدود الله؟

فلما رأىٰ أسامة إنكار النبي ﷺ وغضبه عليه مما أتاه قال له: استغفر لي يا رسول الله

** فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فاحتطب فأثنىٰ علىٰ الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد أيها الناس إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها. ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها [1] .

.. ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها :

لقد فرض الله الحدود وأوجب علىٰ ولاة الأمور إقامتها علىٰ الشريف والوضيع، والغني والفقير، والذكَر والأنثىٰ، والقريب والبعيد، وقد كان بني إسرائيل إذا سرف فيهم الشريف تركوه محاباة ومراعاة لشرفه، وإذا سرق فيهم الضعيف أي الفقير الذي لا جاه له ولا مال معه ولا حسب يحميه ينفذون عليه الحكم ، فأهلكهم الله للمداهنة والنفاق وترك لإقامة الحدود الشرعية. والنبي ﷺ يقسم (وأيم الله) لتأكيد كلامه حيث أن المقام يقتضي ذلك . وهو قسم بالنية لا مطلقًا إذ لا يعرفه إلا الخواص (ولو أن فاطمة بنت محمد ﷺ سرقت) أعذها الله من ذلك ، ولكن ليؤكد أن هذا الأمر لا محاباة فيه لأحد. ولقد كان المسلمون بمكة (وقت فتح مكة) حديثي عهد بالإسلام فظنوا أن الشفاعة عند الحاكم تنفع وترفع العار عن هذه

(1) رواه مسلم والبخاري عن عائشة رضي الله عنها .

المرأة وأسرتها ومن ينتمي إليها من جراء قطع يدها. ولكن الرسول ﷺ أهمه هذا الأمر وأراد أن يثبت لهم وللإنسانية كلها أن الإسلام لا يفرق في تنفيذ الحدود بين شريف ووضيع ولا بين غني وفقير بل الكل أمام القانون سواء كلكم لآدم وآدم من تراب (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (الحجرات) ولهذا خطب فيهم هذه الخطبة الجامعة التي وضعت قواعد العدل وثبتت دعائم الإنصاف وأقسم الرسول ﷺ للمسلمين بهذا القسم القوي حتىٰ لا تشك النفوس بعد ذلك في أن هناك مانعًا يقف أمام تنفيذ حدود الله تعالىٰ ولو علىٰ أعز الناس وأشرفهم وأقربهم إلىٰ الله ـ عز وجل ـ. فضرب المثل بابنته وأحب الناس إلىٰ قلبه وأشرف مخلوقة في الأمة المحمدية كلها وهي السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها وتغير وجه النبي ﷺ وظهر عليه الغضب الشديد حين سمع أسامة بن زيد يخاطبه في هذا الشأن وهو الوساطة في تعطيل حد من حدود الله تعالىٰ فنهره بشده وهو (حب الرسول). ويقول ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في أمره[1] .

.. فائدة :

ومن الأمور المهمة حفظ مكانة المخطيء بعد توبته ورجوعه لكي يثبت علىٰ الاستقامة ويمارس حياة عادية بين الناس، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها عن تلك المرأة المخزومية التي قطعت يدها: فحسنت توبتها بعد، وتزوجت، وكانت تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها إلىٰ رسول الله ﷺ .

(1) رواه أبو داود والحاكم وصححه .

(17) السؤال عن ذات الله :

** أتىٰ رهط من اليهود نبي الله ﷺ فقالوا: يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلقه ؟

فغضب النبي ﷺ حتىٰ امتقع لونه (أي تَغَيَّرَ لَوْنُهُ)، ثم ساورهم (انقض عليهم ، ووثب عليهم)غضبًا لربه ، فجاءه جبريل عليه السلام فسكنه، وقال: اخفض عليك جناحك يا محمد وجاءه من الله جواب ما سألوه عنه قال: يقول الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ : قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد

** فلما تلاها عليهم النبي ﷺ قالوا: صف لنا ربك كيف خَلقُه وكيف عضدُهُ وكيف ذراعُه؟

فغضب النبي ﷺ أشد من غضبه الأول ثم ساورهم، فأتاه جبريل فقال مثل مقالته وأتاه بجواب ما سألوه عنه ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر] (1).

. صف لنا ربك كيف خَلقُه وكيف عضدُهُ وكيف ذراعُ :

لا يجوز للمسلم أن يتخيل شكلًا لذات الله سبحانه وتعالىٰ، لأن كل شكل يتخيله العقل أو يخطر بالبال، فإن الله تعالىٰ بخلافه. قال الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورىٰ].

وعقل الإنسان المحدود لا يمكن عقلًا ولا يجوز شرعًا أن يدرك ذات الله ـ عز وجل ـ أو يتصورها، وكل من يتوهم شيئًا في مخيلته أو يرسم شكلًا يتوهمه لله ـ عز وجل ـ، فإنه مشبه، والمشبه يعبد صنمًا،

(1) رواه الطبري في التفسير عن سعيد بن جبير.

كما أن المعطل يعبد عدمًا، كما قال أهل العلم.

ولهذا، نهىٰ النبي ﷺ عن التفكر في ذات الله تعالىٰ، وأمر بالتفكر في آياته، فقال ﷺ : تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله(1).

وقد أكد أهل العلم في النهي عن التفكر في ذات الله ـ عز وجل ـ، والحث علىٰ التفكر في آياته الكونية المرئية، وآياته الشرعية المقروءة، ونعمه التي تغمر الإنسان وتحيط به؛ لأنه لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا يشبه الأنام.

وذلك لأن طرق معرفة الشيء والحكم عليه، تكون بثلاثة أمور:

الأول: معاينته ومشاهدته، وهذه مستحيلة في حق الله ـ عز وجل ـ، حيث قال تعالىٰ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام] .

الثاني: قياسه علىٰ شيء مثله قد رآه الشخص، فيحكم من خلال المرئي علىٰ مماثله الذي لم يره.

وهذه أيضًا مستحيلة في حق الله ـ عز وجل ـ؛ لأن الله تعالىٰ يقول: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ(2).

الثالث: الحكم علىٰ الشيء ومعرفته من خلال آثاره المرئية المحسوسة

فهو قادر– مثلًا– إذا لاحظ آثار قدرته، أو أنه حكيم إذا لاحظ آثار حكمته.. وهكذا. وهذه هي الوسلية الوحيدة التي يمكن للإنسان من خلالها أن يدرك ويتيقن أن الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ واحد لا شريك له في

(1) معجم الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما .
(2) الشورىٰ / 11 .

ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، وأنه متصف بكل كمال يليق به جل وعلا ، منزه عن كل نقص. ولهذا جاء الحث في القرآن الكريم علىٰ التفكر في النفس والكون والآفاق حتىٰ يدرك الإنسان عظمة الله عز وجل قال تعالىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ﴾ [الروم: 8]، وقال تعالىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾[الأعراف: 185].

والحاصل أنه لا يجوز للمسلم أن يتخيل شكلًا لله ـ عز وجل ـ، وعلاج من وجد شيئًا من ذلك أن يعرض عنه ويقطع التفكير فيه.. ويستعيذ بالله تعالىٰ من الشيطان الرجيم، وليقل " لا إله إلا الله، آمنت بالله".

ومن هنا فالإسلام رحمة بالعقل ورفقًا به، وحماية له من الضلال فقد نهىٰ المسلم عن الخوض في ذات الله تعالىٰ.

(18) العذاب بعذاب الله :

** كان بعض الصحابة مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق ﷺ لحاجته، فرأي الصحابة حمرة (نوع من الطيور) معها فرخان، فأخذوا فرخيها، فجاءت الحمرة تعرش (يعني تحوم حولهم وتصيح لفقد أولادها)، فجاء النبي ﷺ فقال: من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها. فأطلقوا ولديها .

** كما أن هؤلاء قد لقوا قرية نمل (مجتمع النمل) فحرقوها، فلما رأىٰ رسول الله ﷺ قرية نمل المحرقة قال: من حرق هذه؟

قالوا: نحن يا رسول الله قال ﷺ : إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار(1).

(1) رواه أبو داود وابن مسعود رضي الله عنه .

. إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار :

تحريم التعذيب بالنار، يعني أنه لا يحل لإنسان أن يعذب أحدًا بالإحراق، لأنه يمكن التعذيب بدونه، ويمكن إقامة الحدود بدون ذلك، فيكون الإحراق زيادة تعذيب لا حاجة لها. يقول أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعث رجالًا في سرية وقال: إذا وجدتم فلانًا وفلانًا لرجلين سماهما فأحرقوهما بالنار فاعتمد الصحابة ذلك امتثالًا لأمر النبي ﷺ فلما أرادوا الخروج، قال كنت قلت: كذا وكذا ولكن لا يعذب بالنار إلا الله عز وجل فإن وجدتموهما فاقتلوهما(1) فنسخ النبي ﷺ أمره الأول بأمره الثاني، فدل ذلك علىٰ أن الإنسان إذا استحق القتل فإنه لا يحرق بالنار وإنما يقتل قتلًا عاديًّا حسب ما تقتضيه النصوص الشرعية.

.. قف واعلم :

لا يجوز قتل النمل جميع النمل دون تحديد، وكذلك لا يجوز التعذيب والقتل بالنار لجميع المخلوقات، لعموم النص: (لا ينبغي لبشر أن يعذب بعذاب الله عز وجل) وهذا إذا كان النمل خارج البيوت ولا يتأذىٰ منه الناس، أما النمل الذي يتأذىٰ بِهِ الناس داخل المنازل، كأن يُتلف الطعام ويأكله، ويُفسد بعض الأثاث والأدوات ، فهذا له حُكمٌ أخر، فإذا أمكن أن تضع بعض المواد الكيماوية الطاردة والديزل والجاز فهذه روائحها تطرد النمل عن بعد، فهذا أفضل من قتله، وإذا لم تجدِ نفعًا والضرر كبير، فيُصار إلىٰ قتلهِ بأنواع من السميات كبودرة الحشرات والنمل . للقاعدة الشرعية من كلام خير البرية: (لا ضرر ولا ضِرار) .

(1) رواه البخاري.

يقول أبو هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول : قرصت نملة نبيًّا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحىٰ الله إليه: أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح[1] .

(19) الاعتداء علىٰ حرمات أهل الذمة :

** نزل النبي ﷺ خيبر ومعه من معه من أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ وكان صاحب خيبر رجلًا ماردًا (أي عاتيًا) منكرًا، فأقبل إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا محمد ألكم أن تذبحوا حمرنا(بضمتين جمع حمار) وتأكلوا ثمارنا وتضربوا نساءنا؟

** غضب النبي ﷺ وقال: يا بن عوف اركب فرسك ثم ناد إن الجنة لا تحل إلا لمؤمن، وأن اجتمعوا للصلاة.

** اجتمع الصحابة للصلاة، ثم صلىٰ بهم النبي ﷺ ثم قام فقال: أيحسب أحدكم متكئًا علىٰ أريكته (أي علىٰ سريره أشار إلىٰ منشأ جهله وعدم اطلاعه علىٰ السنن) قد يظن أن الله ـ عز وجل ـ لم يحرم شيئًا إلا ما في هذا القرآن، ألا وإني والله قد أَمَرْتُ وَوَعظتُ ونَهيتُ عن أشياء إنها (أي الأشياء المأمورة والمنهية علىٰ لساني) لَمِثْلُ القرآن(أي في المقدار) أو أكثر (أي بل أكثر)، وإن الله عز وجل لم يُحلَّ لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب (يعني أهل الذمة) إلا بإذن (أي إلا أن يأذنوا لكم بالطوع والرغبة)، ولا ضربَ نسائهم (أي ولا يحل لكم ضرب أحد نسائهم لأخذ الطعام أو غيره قهرًا فلا تظنوا أن نساء أهل الذمة حل لكم كنساء الحربيين) ولا أكلَ ثمارهم (أي

(1) رواه البخاري .

ونحوها من كل مأكول) إذا أعطوكم الذي عليهم(أي من الجزية) (1) .

.. ألا وإني والله قد أمَرْتُ وَوَعظتُ ونهيتُ عن أشياء إنها لَمِثْلُ القرآن أو أكثر :

إن أحكام الشريعة الإسلامية مصطبغة بالعدل اصطباغًا تامًّا، فالأحكام الشرعية هي العدل، والعدل هو الأحكام الشرعية، فلا تميل القواعد القانونية الشرعية إلىٰ جانب الحاكم ضد مصالح المحكوم، ولا تعطي الرجال حقوقًا بحيث تظلم النساء، ولا يمكن أن تخطئ المقدار المناسب للجريمة، لأن واضعها يتصف بالعلم المطلق الشامل، والعدل التام الكامل(خصائص الشريعة الإسلامية). ويستند هذا المقصد العظيم إلىٰ نصوص شرعية عديدة منها علىٰ سبيل المثال قوله تعالىٰ:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ [النحل:90]، وفي الحديث القدسي، يقول الله تعالىٰ: يا عبادي إني حرمت الظلم علىٰ نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا[2]. قال الله تعالىٰ:﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ ﴾[الممتحنة].

قال ابن جرير: عُنيٰ بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان، أن تبرُّوهم وتصلوهم وتُقسطوا إليهم؛ لأن بِرَّ المؤمنِ من أهل الحرب ممن بينه قرابةُ نسب، أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غيرُ مُحَرَّم ولا منهيٍّ عنه، إذا لم يكن في ذلك دلالةٌ له أو لأهل الحرب علىٰ عورة لأهل الإسلام، أو

(1) رواه البيهقي في السنن الكبرىٰ عن العرباض بن سارية السلمي رضي الله عنه .
(2) رواه مسلم .

تقويةٌ لهم بكُراع أو سلاح، وقوله: (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) يقول: إن الله يحب المنصفين الذين ينصفون الناس، ويعطونهم الحقَّ والعدل من أنفسهم، فيبَرُّون من بَرَّهم، ويحسنون إلىٰ من أحسن إليهم(1) .

وقد تحرىٰ الصحابة رضي الله عنهم تطبيق العدل فضربوا أروع الأمثلة، وكانوا النموذج العملي لمن بعدهم، لقد كان الفاروق يقول للناس في عماله: إني لم أستعمل عليكم عمالي ليضربوا أبشاركم، وليشتموا أعراضكم، ويأخذوا أموالكم، ولكني استعملهم ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم، فمن ظلمه عامله بمظلمة فلا إذن له عليّ، ليرفعها إلي حتىٰ أقصه منه(2). وكان يقول: أيَّما عامل لي ظلم أحد فبلغتني مظلمته فلم أغيرها فأنا ظلمته(3) .

لذلك أتىٰ الوعيد الشديد في ظلم المعاهدين وأهل الكتاب، وأن النبي ﷺ يكون خصيم من انتقص أحدًا منهم حقه، فكيف بمن قتله!. قال رسول الله ﷺ : ألا من ظلم معاهدًا، أو انتقصه حقه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة (4). وقال ﷺ : من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا (5) فأي وعيد أعظم من هذا وأشد، ومن الذي يرضىٰ لنفسه بالتعرض لهذا الوعيد الشديد والتهديد

لذا فمن يعيشون بين المسلمين من أهل الكتاب وغيرهم

(1) تفسير الطبري .
(2)طبقات ابن سعد.
(3)طبقات ابن سعد.
(4)رواه أبو داود .
(5) رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

ويحترمون قيمهم ومجتمعهم فلهم الضمان النبوي، فقد ضمن ﷺ لمن عاش بين ظهراني المسلمين بعهد وبقىٰ علىٰ عهده أن يحظىٰ بمحاجة النبي ﷺ لمن ظلمه. ولا يجوز إكراههم علىٰ ترك دينهم فيتركون وما يدينون ولا يكرهون علىٰ الدخول في الإسلام بعد دعوتهم إليه بالحكمة والرحمة، كما لا يجوز إيذاؤهم فلا يجوز لأحد من الناس أن يؤذيهم أو يضيق عليهم، والإحسان إليهم والبر بهم، حيث ينعم غير المسلمين من أهل هذه البلاد بحسن الجوار وشتىٰ صور الإحسان والتسامح في المعاملة.

ويقول القرافي: إن عَقْد الذمة يوجب حقوقًا علينا لهم؛ لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا، وذمّةِ الله تعالىٰ، وذمّةِ رسوله، ودِينِ الإسلام، فمن اعتدىٰ عليهم ولو بكلمة سوء، أو غِيبة في عِرْض أحدهم، أو نوع من أنواع الأذيّة، أو أعان علىٰ ذلك، فقد ضيّعَ ذمّة الله تعالىٰ وذمّة رسوله وذمة دين الإسلام (الفروق)

وقد حذّر النبيّ ﷺ من دُعاء المظلوم ولو كان كافرًا، قال رسول الله ﷺ : دعوة المظلوم وإن كان كافرًا ليس دونها حجاب(1). وبذلك يؤكد الإسلام فرض العدل مع غير المسلمين، بأقوىٰ تأكيد، والعَدْلُ رأس كُلّ فضيلة.وإن ديننا يأمرنا بالعدل مع أعدائنا، وينهانا عن الاعتداء عليهم أكثر ممّا اعتدوا به علينا لدينٌ حقيقٌ أن يَحْتَكِمَ إليه البشرُ جميعُهم، وأن يُتَقاضَىٰ إليه في أرض الله وبين عباد الله.

فبهذه الأخلاق والآداب يُعامل المسلمون غيرَ المسلمين، وهذه الأخلاقُ والآداب من دين الإسلام، يأمرهم بها كتابُ ربهم وسُنَّةُ نبيّهم.

(1) رواه عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(20) استغلال المنصب أو الوظيفة:

** استعمل (أي صيره وجعله عاملا له علىٰ عمل من الأعمال العامة) النبي ﷺ رجلًا يقال له ابن الأتبية لجمع علىٰ مال الزكاة ، فبعثه لجمع الزكاة من بني سليم، ويعود بها إلىٰ بيت المال ، فجاء الرجل من حيث بعثه ﷺ فجاء بالمال فدفعة إلىٰ النبي ﷺ ، وقال: هذا مالكم، وهذا أهدي لي.

** غضب النبي ﷺ ، وصعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال:" ما بال (البال: الحال والشأن) رجال نستعملهم علىٰ العمل فيجيء أحدهم فيقول هذا لكم وهذا أهدي لي؟، أفلا جلس أحدهم في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيُهدىٰ له أم لا؟، والذي نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم منها شيئًا إلا جاء به يوم القيامة يحمله علىٰ رقبته، إن كان بعيرًا له رغاء (صوت البغير)، أو كانت بقرة لها خوار(صوت البقرة)، أو شاة تتعر (صوت الشاة)، ثم رفع رسول الله ﷺ يديه حتىٰ رأوا عفرة إبطيه (عفرة الإبط: هي البياض ليس بالناصع) ثم قال: اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت[1].

.. والذي نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم منها شيئًا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته :

لما كان الناس محتاجين إلىٰ ذوي الولايات والمناصب والوظائف في قضاء حاجاتهم، فإن كثيرًا منهم يتوددون لهم، ويتزلفون إليهم، وربما بذلوا في سبيل ذلك الوسائط والصنائع من الهدايا والأموال والولائم والخدمات وغيرها، لنيل حقوقهم منهم، أو

(1) رواه البخاري، وأبو عوانة في مسنده عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه.

للحصول علىٰ ما لا حق لهم فيه، أو لتقديمهم علىٰ غيرهم، حتىٰ إن بعض أهل المناصب والوظائف يملكون في زمن قليل ثروات طائلة لو استغرقوا أعمارهم كلها في جمعها من أرزاقهم ما جمعوها، ولكنها هدايا الناس وصِلَاتُهم التي لولا مناصبهم ووظائفهم ما ظفروا بشيء منها. لذلك:

1/ فهدايا (ذو المناصب والوظائف) حرام والسبب أن الوظيفة التي عمل بها هي السبب في الإهداء له، ولو أقام في منزله لم يهد له شئ، لذا لا ينبغي أن يستحلها بمجرد كونها وصلت إليه علىٰ طريق الهدية.

2/ فهدايا (ذو المناصب والوظائف) تعد من الرشوة المحرمة لأنها تدفع العمال إلىٰ التغاضي والتساهل في أخذ أو إعطاء الحقوق

3/ فهدايا (ذو المناصب والوظائف) تعد غلولًا (سرقة) لأنه يحصل علىٰ أكثر من مرتبة المحدد عن عقد العمل.

قال النبي ﷺ : من اسْتَعْمَلْنَاهُ علىٰ عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا فما أَخَذَ بَعْدَ ذلك فَهُوَ غُلُولٌ[1] .

اشتهىٰ عمر بن عبد العزيز تفاحًا، فقال: لو أن عندنا شيئًا من تفاح فإنه طيب؟ فقام رجل من أهله فأهدىٰ إليه تفاحًا، فلما جاء به الرسول قال: ما أطيبه وأطيب ريحه وأحسنه، ارفع يا غلام واقرأ علىٰ فلان السلام، وقل له: إن هديتك قد وقعت عندنا بحيث تحب، قال عمرو ابن مهاجر: فقلت له: يا أمير المؤمنين، ابن عمك رجل من أهل بيتك، وقد بلغك أن النبي ﷺ كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، قال: إن

(1) رواه أبو داود عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه .

الهدية كانت للنبي ﷺ هدية، وهي لنا رشوة[1].

يقول النووي: لكي يبرأ العامل من إثم الهدية التي وصلت إليه، أن يردها إلىٰ مهديها، فإن تعذر فإلىٰ بيت المال.

(21) التأله علىٰ الله :

** قام بلال رضي الله عنه إلىٰ النبي ﷺ فقال: ماتت فلانة واستراحت غضب النبي ﷺ وقال:" إنما استراح من غُفِرَ له"[2].

ماتت واستراحت :

هذا الحديث يبين أن هذه الكلمة (مات واستراح) لا تقال علىٰ الإطلاق ولا تقال علىٰ سبيل النجاة لأن هذه أمور لا يعلم بها إلَّا الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ وقد يقال إن المراد من هذه الكلمة أنه استراح من هموم الدنيا وغمومها ، نقول هذا صحيح مع التقييد فعن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر عليه بجنازة، فقال: مستريح أو مستراح منه. قالوا: يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه؟. قال: العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا و أذاها إلىٰ رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب[3].

ولن يستريح العبد إلا إذا علم انه قد غفر له ودخل الجنة كما قال الإمام احمد لما قيل له: استرح من هذا. قال: لا راحة إذا وضعت رحلك في الجنة.

فهذا الدار دار نكد وهم وحزن وغم لا تحلىٰ إلَّا بالإيمان والدين

(1) حلية الأولياء .
(2) رواه أحمد والطبراني عن عائشة رضي الله عنها .
(3) رواه مسلم .

والعمل الصالح وأحسن من قال:

طبعت علىٰ كدر وأنت تريدها ... صفوًا من الأقذار والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها ... متطلب في الماء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فإنما ... تبني الرجاء علىٰ شفير هار

فلا ولن تجد دنيا صافية من غير منغصات فهيئ نفسك علىٰ هذه الحياة والراحة الحقيقة هناك حيث علمت فشمر واترك اللعب واللهو جانبًا ويكفي ما مر من حياتنا وكما قال علي البغدادي الواعظ (عمّر قبرك كما عمّرت قصرك).

إذا العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها لكن لا يجزم له بشيء، وانظر العبد الفاجر يستريح منه كل شيء لأنه عنصر فاسد آذىٰ العباد والبلاد.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ[1] .

فكل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة مكلف بفعل الطاعات الشاقة فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلىٰ ما أعد الله تعالىٰ له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من المنغصات وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا مع قلته وتكديره بالمنغصات فإذا مات صار إلىٰ العذاب الدائم وشقاء الأبد.

(22) الاعتراض علىٰ حكم الرسول:

** يوم حنين جاء رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فوقف علي رسول الله ﷺ وهو يعطي الناس، فقال له: يا محمد قد رأيت ما

(1)رواه مسلم .

صنعت في هذا اليوم.

فقال رسول الله ﷺ : أجل فكيف رأيت.

قال: لم أرك عدلت.

** غضب النبي ﷺ فقال: ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟

فقال عمر بن الخطاب: ألا نقتله.

فقال ﷺ : دعوه، فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتىٰ يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ينظر في النصل فلا يوجد شيء ثم في القدح فلا يوجد شيء ثم في الفوق فلا يوجد شيء سبق الفرث والدم(1).

.. دعوه فانه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه :

كان رسول الله ﷺ قد قسم الفيء بعد معركة حنين، بحيث أعاد في النهاية سبايا قبيلة هوازن إليهم، وجعل جل الأموال من نصيب المؤلفة قلوبهم من قريش وقبائل العرب، ولم يعط بني عبد المطلب والأنصار شيئًا، ومن أعطاه شيئًا استعاده، ووكلهم إلىٰ إسلامهم وقرابتهم. وربما كان منح الأموال للمؤلفة قلوبهم هو ما جعل ذا الخويصرة التميمي ينقم علىٰ تلك القسمة التي خالفت المعتاد في مثل تلك الحالات وما جرىٰ في الغزوات السابقة، ويصفها باللا عدل، رغم أن المُقسم هو داعية العدل، الرسول ﷺ نفسه. ولو نظرنا إلىٰ ما حدث لوجدنه سابقة لم يخبروها من قبل في مثل تلك الأحوال، ولكن

(1) البداية والنهاية عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

بالنسبة «للمتعمقين في الدين»، كان ذلك مخالفًا للعدل، لمخالفته لنص الشرع كما يفهمونه، حتىٰ وإن كان القائم به محمد النبي ﷺ نفسه. من هنا كانت النظرة المستقبلية للنبي ﷺ ، ووصفه لذي الخويصرة بأنه« سيكون له شيعة يتعمقون في الدين»، وتعمقهم هذا هو الذي سيخرجهم من الدين كما يخرج السهم من الرمية، وليس لعدم تعمقهم فيه.

لقد كان الرسول الكريم ﷺ يمارس السياسة الكفيلة بتحقيق الصالح العام للجماعة والدين، في ذات الوقت الذي كان يطبق فيه «روح العدل»، بينما كان ذو الخويصرة يريد أن يطبق نص العدل وفق فهمه، حتىٰ وإن أدىٰ ذلك إلىٰ اللا عدل والإخلال بالمصلحة العامة لجماعة المؤمنين، حين السبر العميق للمسألة. ورغم غضب النبي ﷺ ، وغضب أصحابه من مقولة ذي الخويصرة، إلا أن الرسول ﷺ لم يعاقبه، والسؤال هو لماذا؟

لأن ذي الخويصرة لم يدرك الحكمة البعيدة المستندة إلىٰ روح النص، والتي كان الرسول ﷺ يمارسها في تقسيمه للفيء. فلو أن الرسول ﷺ وزع الفيء وفق محددات النص فقط، ودون مراعاة الظروف، ولم يعد ـ مثلًا ـ سبايا هوازن إليهم، ففي الغالب أن لا تقبل هذه القبيلة وغيرها الإسلام، وتصبح شوكة في جنبه، خاصة أن العرب في النهاية هم مادة الإسلام وعصبه. وكلنا يعلم مدىٰ أهمية العرض والشرف بالنسبة للعربي، والذي كان يدفع البعض منهم إلىٰ وأد البنات خشية العار، فما بالك وهم يرون بناتهم سبايا، وبيد قبائل أقل منهم شأنًا، حسب ما يعتقدون. وذات الشيء يمكن أن يُقال عن

المؤلفة قلوبهم من وجهاء القبائل، من حيث أنهم وجهاء قومهم، واستمالتهم لا تكون إلا بالتعامل معهم علىٰ هذا الأساس، وإلا كانوا مصادر شغب وتوتر في المجتمع الوليد. لقد كان الرسول الأعظم ﷺ يمارس السياسة بأعظم صورها هنا، وهي السياسة التي أدت في النهاية إلىٰ دخول الناس أفواجًا في دين الإسلام.

وحتىٰ عندما كان الرسول ﷺ يمارس السياسة هنا، فإنه لم يخرج عن النص، وحاشا له أن يفعل، بل طوعه وذلك بأن غير القسمة المعتاد عليها في السابق عن طريق رضىٰ المسلمين بذلك، أو تعويضهم بهذا الشكل أو ذاك، ولم يكن القسر ديدنه، رغم قدرته علىٰ ذلك، وعدم قدرة أحد علىٰ مخالفة أمره فيما لو أراد. بإيجاز، التزم بالمبدأ، ولكنه غير كيفية التحقيق وفق المقصد الكلي للنص.

مشكلة البعض، في ذاك الزمان وهذا الزمان، أنهم لا يفرقون بين المبدأ وكيفية تحقيق المبدأ. فذو الخويصرة لم يكن كافرًا ولا مشركًا، بل هو يشهد بالوحدانية والرسالة، ومتعمق في الدين حسب شهادة الرسول ﷺ نفسه، بحيث يصبح له شيعة وأنصار في هذا المجال، ومع ذلك اعترض علىٰ النبي الخاتم ﷺ الذي يؤمن به. لقد «تعمق» في الدين حتىٰ أصبح غير قادر علىٰ التمييز بين ما هو سياسي دنيوي تجب ممارسته من أجل صالح الدين ذاته في النهاية، وبين ما هو ذو صبغة دينية، ولكن ليس من الضروري أن يكون ظاهره المباشر هو ما يمثل السياسة المطلوبة في كل الأحوال، وخاصة إذا كان في ذلك مضرة لذات الدين أو جماعة المؤمنين به. وقد أدرك هذه الحكمة النبوية ومارسها صحابة رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون، حين

أدركوا متىٰ يجب تطبيق النص بكل حذافيره، ومتىٰ لا يجب أن يكون ذلك عند أخذ الظروف المحيطة في الاعتبار، وذلك من أجل صالح الدين والجماعة معًا. ففي النهاية، لا قيام للدين دون جماعة، ولذلك كان الرسول ﷺ يعرض نفسه علىٰ القبائل في الفترة المكية من الدعوة. فعمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الذي رأينا كيف كان حادًّا في موقفه من صلح الحديبية، لدرجة مناقشة الرسول الأعظم ﷺ في ذلك، يقوم حين أصبح خليفة بمخالفة النص ظاهرًا، وطاعته مضمونًا ومقصدًا، حين لا يطبق حد السرقة في عام الرمادة، ولا يوزع أرض السواد علىٰ الفاتحين مثلًا، رغم أن هنالك نصوصًا واضحة في هذا الشأن. لقد كان عمر قد استوعب درس الحديبية، وهو خريج المدرسة النبوية، فأصبح يقوم بالفعل من خلال مصلحة الجماعة، التي هي مصلحة الدين في النهاية. فرغم أنه أوقف الحد عام الرمادة، إلا أنه في الحقيقة لم يعطله كما قد يعتقد البعض، بل نظر إليه ضمن شروطه، ومن شروطه عدم الحاجة، وكان الناس أيامها في مجاعة. ولكن المشكلة أن البعض من الناس، حكامًا ومحكومين، يطبقون الحد دون الأخذ في الاعتبار شروط تطبيقه، فتفقد العقوبة معناها وتخرج عن مقاصدها، وتتحول الوسيلة إلىٰ غاية بذاتها. من هنا ندرك لماذا لم يوزع عمر أرض السواد علىٰ الفاتحين مثلًا، لأن ذلك كان سيجعل المال في النهاية دولة بين الأغنياء، تفجر المجتمع الواحد في النهاية، وفي ذلك من المخاطر علىٰ جماعة المسلمين وتماسكها ما فيه، وبالتالي خطر علىٰ الدين نفسه. هكذا قرأ عمر نصوص الشرع، وهكذا طبقها، استئناسًا بما فعله الرسول الأعظم نفسه في حوادث سابقة.

وفي زمننا هذا، وهو ما يسميه البعض بزمن الصحوة الإسلامية، فإن البعض قد حول هذه الصحوة إلىٰ صحوة عودة إلىٰ نصوص مجردة، مفصولة العرىٰ عن شروطها وظروفها ومقاصدها، بدل أن تكون صحوة حضارية حقيقية، تعود إلىٰ النص حقًّا، ولكن مع فهم شامل لمقاصد النص، الذي يدور بالضرورة في دائرة مصلحة الجماعة وتماسك الجماعة. وإذا كنا قد قلنا إنه لا قيام لدين دون جماعة، فإنه أيضًا لا قيام لحضارة دون جماعة، وعندما تتفتت الجماعة لا يعود لأي شيء قيمة. وما يفعله البعض اليوم باسم الدين تارة، وباسم الصحوة تارة، وباسم الهوية مرات ومرات، لا يعدو أن يكون ذات نهج ذي الخويصرة في حنين: تعمق في الدين حقًّا، ولكن دون إدراك لمعنىٰ الدين. وإذا ضاع المعنىٰ، فلا معنىٰ للكم مهما كانت كميته أو مقداره.

(23) قتل من أسلم:

** يقول أسامة بن زيد رضي الله عنهما : بعثنا رسول الله ﷺ إلىٰ الحرقة (بطن) من جهينة، فصبحنا القوم (أي أتيناهم صباحًا)، علىٰ مياههم (جمع ماء)، فقاتلنهم، فهزمناهم، وكان رجل منهم قد أوجع في المسلمين وقتل كثيرًا منهم، فلما انهزموا ولىٰ هاربًا، فلحقته أنا ورجل من الأنصار رجلًا منهم فلما غشيناه (أي قربنا منه) قال: لا إله إلا الله، فكف (أي أمسك) عنه الأنصاري، وطعنته برمحي حتىٰ قتلته، فلما قدمنا المدينة، بلغ ذلك النبي ﷺ ، فغضب غضبًا شديدًا، وقال لي: "يا أسامة أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟

قلت: يا رسول الله إنما كان متعوذًا (أي طالبًا العصمة)، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ (أي لم يقلها من قلبه ويقصد الشهادة)

فقال:"أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟، أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا ؟!

فما زال يكررها علي حتىٰ تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم(1).

.. أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا ؟! :

قتل أسامة الرجل جاء عن اجتهاد تبين خطأه؛ لهذا سقط القصاص عنه، وقال النووي: أنكر الرسول ﷺ علىٰ أسامة تركه العمل بما ظهر من اللسان، فقال: أفلا شققت عن قلبه لتنظر هل كانت فيه حين قالها واعتقدها أم لا(2).

الحكم بالظّاهر أصل من أصول الإسلام، فإنّ الهدف الرّئيس من الجهاد هو إعلاء كلمة الله، فإذا أظهر بعض الكفّار المحاربين أثناء المعركة كلمة الإسلام (الشّهادتين) أو قال: (أنا مسلم)، أو حيّاهم بتحيّة الإسلام، وجب علىٰ المسلمين الكفّ عنه وعدم قتله أو قتاله، وهذا من محاسن الإسلام الذي يوجب علىٰ المسلم أن يكفّ عن عدوّه، وهو في حالة غليان عليه في وقت مقارعة السّيوف.

فقد أوجب الله علىٰ المسلمين العمل بالظّاهر والتثبّت من الحقيقة، كما قال تعالىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾ ﴾

(1) رواه البخاري ومسلم .

(2)فتح المنعم.

[النساء]، قال ابن حجر: وفي الآية دليل علىٰ أنّ من أظهر شيئًا من علامات الإسلام، لم يحلّ دمه حتّىٰ يختبر أمره، لأنّ السّلام تحيّة المسلمين، وكانت تحيّتهم في الجاهليّة بخلاف ذلك، فكانت هذه علامة(1).

وفي الآية تذكير للمؤمنين بأنّ نعمة الإيمان هي نعمة من الله بها عليهم، وقد كانت هذه النّعمة قبل أن يمنّ عليهم بها مفقودة منهم، والّذي منّ عليه بنعمة الإسلام، قادر أن يمنّ علىٰ عدوّهم في لحظة القتال، فلا ينبغي أن يستبعد المسلمون أن يهدي الله عدوّهم للإسلام في تلك اللّحظة.ولا يجوز لهم أن يتأوّلوا أنّ ذلك إنّما حصل اتّقاء القتل، فالهداية بيده سبحانه وتعالىٰ

أنّ المسلم غير معنِيٍّ باقتفاء مواطئ القلوب ولعلّنا تسأل عن حكمة كفّه عليه الصّلاة والسلام عن قتل المنافقين مع علمه بأعيان بعضهم؟ وكان هؤلاء تتفوّه ألسنتهم بأقبح الأقوال، وتصدر عن جوارحهم أفظع الأفعال. وأولئك الّذين حكم الله عليهم أنّهم في الدّرك الأسفل من النّار، مع هذا كف عن قتلهم، يقول الإمام مالك : إنّما كفّ رسول الله ﷺ عن المنافقين ليبيّن لأمّته أنّ الحاكم لا يحكم بعلمه. وقال القرطبيّ: وقد اتّفق العلماء عن بكرة أبيهم أنّ القاضي لا يقتل بعلمه وإن اختلفوا في سائر الأحكام(2) .

هذا أصل من أصول الدّين: ألا وهو وجوب الحكم بالظّاهر، وممّا يؤيد هذا الأصل أنّ النبيّ ﷺ أجاز مناكحة المنافقين وتوريثهم، فقد

(1)فتح الباري.
(2)تفسير القرطبي .

ورِث عبد الله ـ وهو من خيار المؤمنين ـ أباه ابن سلول ـ وهو من كبار المنافقين ـ

(24) لبس الذهب:

❊❊ يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ رأىٰ خاتمًا من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه، وقال: "يعمد أحدكم إلىٰ جمرة من نار فيجعلها في يده"

فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمك انتفع به، قال: والله لا آخذه أبدا وقد طرحه رسول الله ﷺ (1).

.. يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده :

لباس الرجل الذهب محرم ومنكر كما قال النبي عليه الصلاة والسلام في الذهب والحرير: إنهما أُحلَّا لنساء أمتي وحُرِّما علىٰ ذكورها(2)، فلا يجوز للرجل أن يلبس خاتمًا من ذهب ولا أن يلبس قلادة من ذهب ولا أن يلبس ثيابا فيها أزرة من ذهب ولا غير ذلك يجب أن يتجنب الذهب كله وذلك أن الذهب إنما يلبسه من يحتاج إلىٰ الزينة والتجمل كالمرأة تتجمل لزوجها حتىٰ يرغب فيها قال الله عز وجل:﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ١٨ ﴾ [الزخرف] يعني النساء ينشأن في الحلية ويربين عليها.

كما لا يجوز للرجل لبس الميدالية في العنق؛ لما في ذلك من التشبه بالنساء، وقد لعن النبي ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء.

وسئل الشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله: تعودت ارتداء سلسلة

(1)رواه مسلم .
(2) رواه أحمد .

ذهبية، ولما علمت بأن الذهب محرم للرجال خلعتها واستبدلتها بسلسلة فضية، فهل هذا الأمر يوافق صحيح الدين؟

فأجاب: نعم يحرم لبس الذهب على الذكور، فلا يجوز للرجل أن يلبس خاتمًا ولا ساعة ولا قلادة من ذهب؛ لما صح عن النبي ﷺ أنه قال في الذهب والحرير: هما حلال لإناث أمتي حرام على ذكورها[1]. وثبت عنه ﷺ أنه اتخذ خاتمًا من فضة. فخاتم الفضة لا بأس به، وكذلك الساعة مثلًا.

ولكن يحرم على الرجل كذلك التشبه بالنساء، فلا يجوز للرجل أن يلبس خواتم من فضة، فإنّ لبس الخواتم على عدد من الأصابع هو من شأن النساء، وكذلك القلادة، فيحرم عليك أن تلبس سلسلة ولو من فضة؛ لما في ذلك من التشبه بالنساء، فإن التحلي بالقلائد والخواتم والقروط بالآذان من زينة النساء، وفي الحديث الصحيح: لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، ولعن الله المتشبهات من النساء بالرجال[2] فعليك أن تطَّرح هذه السلسلة، وإن كانت من فضة، وتعتز برجولتك وتحمد الله على نعمه الدينية والدنيوية، والله تعالى حكيم عليم في شرعه وفي كل أفعاله، إنه تعالى حكيم عليم.

(25) تقاعس الناس عن الخير:

** في صدر النهار عند رسول الله ﷺ فجاءه قوم عُراة مُجتابي النِّمار (الاجتياب وهو القطع أي مقطعي الثياب) و(النِّمار: جمع نَمِرة، وهي الكساء من الصوف المُخطَّط)- أو العَباء- متقلِّدي

(1) رواه أحمد .

(2)رواه البخاري.

السيوف، عامَّتهم من مُضر(من أمهات العرب المُستعربة)، بل كلهم من مضرَ.

** تمعَّر وجهُ (أي تغيَّر وجهُه رثاء لهم وحزنًا عليهم) رسول الله ﷺ لِما رأى بهم من الفاقةِ، فدخل ثم خرج، فأمر بلالًا فأذَّن وأقام، ثم صلى، ثم خطب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1)﴾ [النساء]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: 18]، تصدَّقَ (أمر بالصدقة) رجلٌ من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع (الصاع: كيل معروف عند أهل المدينة، قريبٌ من ربع الكيلة المصرية) بُرِّه، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشِق تمرة .

** أبطأ الناس حتى بان الغضب في وجهه ﷺ ، فجاء رجل من الأنصار بصرَّة كادت كَفُّه تَعجِز عنها، بل قد عجزت؛ ثم تتابَعَ الناسُ حتى كان هناك كَوْمَين من طعامٍ وثياب

** تهللُ وجه رسول الله ﷺ كأنه مُذْهَبَة (المُذْهَبة: القطعة المطليَّة بالذهب)؛ وقال رسول الله ﷺ : مَن سنَّ في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر مَن عمِل بها بعده، من غير أن يَنقُص من أجورهم شيء؛ ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمِل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء[1] .

.. التعاون على البر، والتعاطف على الخير :

يُعنى الإسلام بالتعاون على البر، والتعاطف في الخير، عنايةً تجعل

(1)رواه مسلم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه .

ممن اتَّبع هداه أمةً واحدة، يَسُرُّ كلَّها ما يَسُرُّ بعضَها، ويُحزِن جميعَها ما يُحزِن فردًا منها، وحسْبُك أنْ جعل المؤمن للمؤمن كالبنيان يَشد بعضُه بعضًا، وأنْ شبَّه المؤمنين في تراحُمهم وتوادهم وتعاطفهم بالجسد الواحد؛ إذا اشتكىٰ عضو منه، تداعىٰ له سائره بالسهر والحمىٰ.

ولقد استجاب المسلمون الأوَّلون لدعوة الإسلام إلىٰ البر علىٰ اختلاف أنواعه، فلم يدَعوا طريقًا من طُرُقه إلا سلكوه، ولا بابًا من أبوابه إلا وَلَجُوه؛ إيثارًا لما عند الله، وابتغاء فضله ورضاه، وكاد أغنياؤهم وفقراؤهم يكونون في الفضل سواء؛ لم يمنع الفقيرَ فقرُه وفاقته أن يبلغ الجهد في الإنفاق، ولو درهمًا أو درهمين، أو حفنة أو حفنتين، كما لم يمنع الغنيَّ حبُّ المال والأولاد أن يبذُل شطرَ ماله أو جلَّه أو كلَّه في سبيل الله، وكان يتجلىٰ هذا التعاون إذا ادلهمَّت الخُطوب، واشتدت الأزمات.

وهذا مثال رائع من أمثلة كثيرة يُخطئها العدُّ، في استجابتهم لرسول الله ﷺ حين يدْعوهم في المُلمَّات، ويَندُبهم لكشف الكُربات، هؤلاء قوم من أعراب مضر، تَنطِق أحوالهم بالبؤس والفاقة، وتنادي رثاثةُ ثيابهم وهلهلتها بالعُري والحاجة، قَدِموا علىٰ رسول الله ﷺ يبتغون مما أفاء الله عليه، ويرْتَجُون تيسير عُسْرتهم لديه؛ ومَن أَوْلىٰ بذلك منه وهو أجود بالخير من الريح المُرسَلة؟ ولكن ماذا يصنع ﷺ وليس عنده شيء؟ لقد دخل بيته لعله يجد شيئًا يُعينهم به، فلم يجد، وما كان أشدَّ هذا الأمرَ عليه أن يرىٰ ذا حاجة ليست عنده حاجتُه، أو طالب معونة ليست بيده معونتُه!

إذًا فليَدْعُ أصحابَه ـ رضوان الله عليه ـ من حضَر منهم لتفريج هذه الكربة، وليندُبهم لإزالة هذه العسرة؛ فإنهم أول مَن ينتدبون للتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، ويأتَسون بمن لا يدَّخر شيئًا في سبيل الله، وكذلك فعَل ﷺ.

كان وقت الصلاة قد حان، فأمر بلالًا أن يؤذِّن لها ويقيمها، وبعد الصلاة رقي منبرَه خطيبًا علىٰ عادته كلما حَزَب أمر أو ألَمَّتْ مُلمة، وأخذ يحث علىٰ الصدقة والإنفاق، فأبطأ الناس بعضَ الإبطاء، ولعلهم كانوا ينتظرون تمام خُطبته، أو يستقِلُّون ما بأيديهم من المال والمتاع، وكان إذا كَرِه شيئًا تغيَّر، وإذا تغيَّر رُئي ذلك بوجهه، وما هي إلا لحظات حتىٰ انبرىٰ رجل من الأنصار – ورحِم الله الأنصارَ! – إلىٰ صُرَّة من فضة كانت عنده، فأتىٰ بها وكفُّه تَعجِز عن حمْلها، حتىٰ وضَعها بين يديه ﷺ ثم تتابَع الناس في البذل، كلٌّ علىٰ حسب وُسْعه، حتىٰ كان كومتان عظيمتان من الطعام والثياب، عدا ما هنالك من الذهب والوَرِق، وحينذاك استبشَر النبي ﷺ واستنار وجهه فرحًا وسرورًا بما رأىٰ من تلبية الدعوة إلىٰ البر، والمسابقة في الخير، وإغاثة هؤلاء الملهوفين! ثم بشَّر ذلك الأنصاريَّ الكريم، الذي فتح باب هذا الخير العظيم، بأنه قد سَنَّ سنة حسنة، له عند الله أجرُها وذُخرها، ومِثْل أجر من عمِل بها واقتفىٰ أثرها إلىٰ يوم يبعثون.

.. حقيقة السنة الحسنة والسنة السيئة :

في الحديث كشْف النقاب عن السنة الحسنة والسنة السيئة، وبيان حقيقة كل منهما؛ إذ أوضح ﷺ أن كل عمل صالح يَبتدئ به صاحبه فَيدعو الناس إلىٰ مثله، فهو السنة الحسنة؛ ومنه يُعلم أن كل عمل غير

صالح يبتدئ به صاحبه فيدعو الناس إلىٰ مِثله، فهو السنة السيئة، وطوبىٰ لمن جعله الله مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر، وويل لمن جعله الله مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير[1]؛ للأول أجره وأجر من اهتدىٰ به إلىٰ يوم القيامة، وعلىٰ الثاني وزرُه ووزرُ من اقتدىٰ به إلىٰ يوم القيامة.

(26) أذن قبل الفجر:

يقول أنس رضي الله عنه أن بلالًا رضي الله عنه أذن قبل الفجر، فغضب النبي ﷺ، وأمره أن يصعد فينادي: ألا إن العبد نام، ألا إن العبد نام. ثَلاثًا (يعني أنه غلبة النوم علىٰ عينيه فمنعه من تبيين الفجر) .

ففعل وقال: ليت بلالًا لم تلده أمه. وابتل من نضح (النَّضِيحُ: العَرَق) جبينه[2].

.. هل يشرع الأذان قبل الفجر أو لا ؟

مشروعيته الأذان قبل الفجر ذهب أليه الجمهور، ويحمل علىٰ هذا أنه لم يكن لمسجد رسول الله عليه وآله وسلم في الوقت الذي نهىٰ عنه بلالًا إلا مؤذن واحد وهو بلال ثم أجازه حين أقام ابن أم مكتوم مؤذنًا، فقد قال النبي ﷺ : إن بلالًا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتىٰ تسمعوا تأذين ابن أم مكتوم [3] .

قال ابن حجر: وفي هذا الحديث جواز الأذان قبل طلوع الفجر[4] .

(27) عندما يكذب عليه أحد:

** بعث النبي ﷺ بعثًا إلىٰ ضاحية مضر، فنزلوا في أرض صخر،

---

(1) رواه ابن ماجة .

(2) سنن الدارقطني، وسنن أبو داود .

(3) رواه البخاري .

(4) فتح الباري .

فأصبحوا فإذا هم برجل في قبة (هي الخيمة الصغيرة أعلاها مستدير) له بفنائه(الفناء : الساحة في الدار أو بجانبها) غنم مرحه، فجاءوا حتىٰ وقفوا عليه فقالوا: يا أعرابي، اجزر لنا شاة (أي ادفع لنا شاة تصلح للذَّبح)

فأخرج لهم شاة، فسخطوها (سخط الشيء : استقله ولم يرض به)، ثم أخرج لهم شاة ، أخرىٰ فسخطوها، فقال: ما بقي في غنمي من شاة لحم إلا شاة ماخض أو فحل

فأخذوا منها شاة فذبحوها، فظلوا يطبخون ويشوون ، حتىٰ انتصف النهار، وليس معهم ظلال يستظلون بها من الحر، وهم بأرض لا ظلال فيها، وقد قال الأعرابي غنمه في ظلته

** فلما أظهروا واحترقوا وهم في يوم صائف لا ظل معهم قالوا: غنيمته في مظلته، نحن أحق بالظل من هذه الغنم

فأتوا الأعرابي فقالوا : يا أعرابي، نحن أحق بالظل من هذه الغنم، أخرج غنمك المستظل في هذا الظل، حتىٰ نقيل (القيلولة: الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم) في المظلة .

فقال الأعرابي: إنكم متىٰ تخرجوها تهلك فتطرح أولادها وإني رجل قد آمنت بالله وبرسوله وقد صليت وزكيت .

فأخرجوا غنمه فلم يلبث إلا ساعة من نهار حتىٰ تناعرت فطرحت أولادها .

** انطلق الأعرابي سريعًا حتىٰ قدم المدينة علىٰ النبي ﷺ فأخبره بالذي صنع به، غضب النبي ﷺ غضبًا شديدًا ثم قال: اجلس حتىٰ يرجع القوم .

** فلما رجعوا جمع بينهم وبينه فسألهم، فقالوا: كذب. فسري (التسرية: الكشف والإزالة وتأتي بمعنىٰ التخفيف) عن النبي ﷺ بعض الغضب.

فلما رأىٰ ذلك الأعرابي قال: أما والله إن الله ليعلم أني لصادق وأنهم لكاذبون ولعل الله يخبرك يا رسول الله

** فوقع في نفس النبي ﷺ أنه صادق فدعاهم رجلًا رجلًا، فما انتجىٰ (انتجىٰ : تحدث مع غيره سرًّا) منهم رجلًا يناشد (ناشده : سأله وأقسم عليه) الله تعالىٰ إلا قال كما قال الأعرابي

فقام النبي ﷺ فقال: ما يحملكم علىٰ أن تتابعوا في الكذب كما يتتابع الفراش في النار الكذب يكتب علىٰ بن آدم إلا ثلاث خصال (الخصال: جمع خصلة وهي خلق في الإنسان يكون فضيلة أو رذيلة) رجل يكذب علىٰ امرأته لترضىٰ عنه ورجل يكذب في خدعة حرب ورجل يكذب بين مسلمَيْن ليصلح بينهما(1).

.. الكذب يكتب على بن آدم إلا ثلاث خصال :

الكذب هو إحدىٰ سمات المنافق، وهو رأس الخطايا وبدايتها، وهو من أقصر الطرق إلىٰ النار وقد ذم الرسول ﷺ الكذب وحذر منه فقال: إن الكذب يهدي إلىٰ الفجور وإن الفجور يهدي إلىٰ النار وإن الرجل ليكذب حتىٰ يُكتب عند الله كذابًا (رواه أبو داود)، والذي يكذب إنما هو مهانة النفس فالإنسان عندما لا يرتقي بنفسه إلىٰ درجة السمو الخلقي وتهون عليه فينزلها إلىٰ مهاوي الرذائل، يسهل عليه الكذب دون غضاضة، كما الكذب يدل علىٰ خبث السرائر وضعف

(1)المعجم الكبير للطبراني عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها.

الوازع الديني والجهل وعدم الوعي بحرمة ارتكابه من الناحية الشرعية.

أما أنواع الكذب :

1/ الكذب في القول أي الإخبار عن الأشياء علىٰ خلاف ما هي عليه وصدوره إما عن العداوة أو الحسد أو الغضب أو من حب المال والطمع أو الاعتياد الحاصل من مخالطة أهل الكذب.

2/ الكذب في الأعمال وهو أن تدل أعماله الظاهرة علىٰ أمر في باطنه لا يتصف هو به أي لا يكون باطنه مثل ظاهره ولا خير منه وهذا غير الرياء لأن المرائي هو الذي يقصد غير الله تعالىٰ في أعماله.

3/ الكذب في مقامات الدين كالكذب في الخوف و الرجاء و الزهد والتقوىٰ والحب والتوكل.

صور الكذب المقبولة شرعًا :

1/ التيقن من وقوع ضرر بالغ بدونه.. فكذب الإنسان لإنقاذ نفسه من ضرر بالغ قد يقع عليه إن لم يفعل ذلك فيجوز .

2/ الكذب علىٰ العدو.. في حالة حربه للمسلمين لتضليله ولإيقاعه في فخ من فخاخ الخداع الحربي، ولكن لا يدخل في هذا جواز الكذب عليه بتأمينه أو معاهدته ثم الغدر به، فهذا غير جائز قطعًا.

3/ الإصلاح بين الناس.. فإنه يجوز الكذب عندما يتوسط إنسان للإصلاح بين فريقين متخاصمين ثم لا يجد وسيلة للإصلاح بينهما أنجع من أن يركب مركب الكذب علىٰ مقدار الضرورة، أما إذا تسنىٰ له أن يوري بأقواله دون أن يكذب فهو خير له وهو الأمر الذي يحبه

الله ورسوله قال رسول الله ﷺ :" ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرًا أو يقول خيرًا[1] .

4/ كذب الرجل لزوجته والعكس.. يجوز الكذب فيها حديث الرجل لامرأته وحديث المرأة لزوجها في الأمور التي تشد أواصر الوفاق والمودة بينهما فهذه حالة يتسامح فيها بشيء من الكذب لتوثيق روابط الأسرة.

5/ المعاريض مندوحة عن الكذب.. قال النبي ﷺ :" إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب[2]" وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إن في المعاريض ما يكفي أن يعف الرجل عن الكذب ، و قال ابن سيرين: الكلام أوسع من أن يصرح فيه بالكذب (أدب الدنيا والدين : للماوردي(و ليس المراد أنه يجوز التعريض بدون حاجة واضطرار وإنما المراد أن التعريض يجوز إذا اضطر الإنسان إلىٰ الكذب ومست الحاجة إليه واقتضته المصلحة.

(28) يا زينب، أفقري أختك صفية جملًا :

** النبي ﷺ حج بنسائه ـ رضوان الله عليهن ـ فلما كان في بعض الطريق نزل رجل فساق بهن فأسرع .(الرجل الذي يسوق والذي يحدوا بالإبل من أجل أن تمشي وتسرع وتلحق بالركب) .

فقال النبي ﷺ : كذاك سوقك بالقوارير (أي لا تسرع بالسير من أجل أن لا تتكسر القوارير وهن النساء لما فيهن من ضعف) .

** فبينما هم يسيرون برك بصفية بنت حيي رضي الله عنها جملها (برَّك

(1)رواه البخاري ومسلم عن أم كلثوم رضي الله عنها .
(2)رواه البخاري .

الجَمَلُ: أي استناخ، ألصق صدرَه بالأرض ولزِم مكانه)، وكانت من أحسنهن ظهرًا (دابة) فبكت ، فجاء رسول الله ﷺ حين أخبر بذلك فجعل يمسح دموعها بيده وجعلت تزداد بكاء وهو ينهاها فلما أكثرت زبرها (منعها) وانتهرها(زجرها لتقف عند حدها) وأمر الناس بالنزول، فنزلوا ولم يكن يريد أن ينزل، وكان هذا يوم صفية بنت حييٰ (يعني: هذه الليلة هي ليلة صفية)، فلما نزلوا ضرب خباء النبي ﷺ ودخل فيه، تقول صفية: فلم أدر علام أهجم من رسول الله ﷺ (أي: أدخل عليه بأي شيء؟)، وخشيت أن يكون في نفسه شيء مني (أي أنه ربما تأثر لما حصل منها).

** انطلقت صفية إلىٰ عائشة فقالت لها : تعلمين أني لم أكن أبيع يومي من رسول الله ﷺ بشيء أبدًا وإني قد وهبت يومي لك علىٰ أن تُرَضِّي رسول الله ﷺ عني.

قالت عائشة: نعم.

** أخذت عائشة خمارًا لها قد ثردته بزعفران(ثَرَدَتْه بزعفران: أَي صبغته) فرشته بالماء ليذكىٰ ريحه (أي: ليفوح ريحه) ثم لبست ثيابها ثم انطلقت إلىٰ رسول الله ﷺ فرفعت طرف الخباء فقال لها: مالك يا عائشة إن هذا ليس بيومك

قالت: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فقال (قال يَقِيل: استراح أو نام في نصف النهار عند اشتداد الحرِّ) النبي ﷺ مع أهله.

** فلما كان عند الرواح قال لزينب بنت جحش : يا زينب أفقري (أفقرتُ فلانًا بعيرًا: إذا أعرته بعيرًا يركب ظهره في سفر ثم يردُّه) أختك صفية جملًا. وكانت من أكثرهن ظهرًا .

فقالت زينب بنت جحش: أنا أفقر يهوديتك

** غضب النبي ﷺ حين سمع ذلك منها فهجرها فلم يكلمها حتىٰ قدم مكة وأيام منىٰ في سفره حتىٰ رجع إلىٰ المدينة المحرم وصفر (يعني: مر ذو الحجة والمحرم وصفر وهو يهجر أمنا زينب رضي الله عنها من أجل هذا الكلام الشديد في هذه السفرة) فلم يأتها ولم يقسم لها ويئست منه.

** فلما كان شهر ربيع الأول دخل عليها فرأت ظله فقالت: إن هذا لظل رجل وما يدخل علي النبي ﷺ فمن هذا؟

فدخل النبي ﷺ فلما رأته قالت : يا رسول الله ما أدري ما أصنع حين دخلت علي (يعني: لأرضيك وأطيب خاطرك)

وكانت لها جارية وكانت تخبؤها (تسترها) من النبي ﷺ فقالت فلانة لك .

** مشىٰ النبي ﷺ إلىٰ سرير زينب وكان قد رفع فوضعه بيده ثم أصاب أهله ورضي عنهن(1).

.. فائدة :

بكت صفية رضي الله عنها من أجل أنها ستؤخر الركب وستؤخر خير خلق الله ﷺ عن السفر، لأنه لا يمكن أن يسير الصحابة ومعهم النبي ﷺ ويتركوها، وهي بذلك تشعر أنها تتسبب الآن في مشكلة للنبي ﷺ ولصحبه الكرام، وقد ينظر الناس إليها بعد ذلك نظرة تشاؤم، وهكذا طبائع وتفكير النساء لبعض الأحداث.

(1) رواه أحمد بن حنبل في المسند، عن صفية بنت حيي رضي الله عنها .

.. غضب النبي ﷺ حين سمع ذلك منها فهجرها فلم يكلمها :

الغيرة إذا جاوزت حدها لابد من ردعها، فعندها قالت زينب بنت جحش رضي الله عنها ما قالت في حق صفية غيرة منها لاهتمام النبي ﷺ بها ، كان ينبغي أن يحصل عليه شيء من الحسم والتوجيه؛ لأن الأمر تجاوز إلىٰ الطعن، وحتىٰ يتطور الأمر أكثر مما يسمح به.

فهذه سلبية من السلبيات، لكن هذه السلبيات انفعال ظاهري، يعالج عندما يحصل في ذلك اعتداء علىٰ حق الغير، ويكفيها أنها هجرت ثلاثة أشهر، وهذا الهجر حقيقة يمزق الكبد عند أمنا زينب رضي الله عنها وعفا الله عما سلف، فرحمة الله واسعة بعد ذلك، والله غفور رحيم، لكن شتان بين أن يكون هذا الخطأ دافعه التعمد، وهو مستأصل ثابت في القلب، وبين أن يكون دافعه الخطأ والانفعال، وهو طارئ يطرأ علىٰ الإنسان ثم ينتهي، شتان بين هذا وذاك. فهذه الحوادث كلها من باب الأمور الطارئة التي كانت تزول عند المعالجة، وتستقر الحياة بعد ذلك.

هذه هي طبيعة الحياة، نحن لا نعرف الجنات، فالجنة حقيقة هناك لا يمكن أن يصدر فيها شائبة، أما ما دمت في هذه الحياة لا بد من عكر وكدر، يزال بعد ذلك، وإذا لم يكن هذا العكر والكدر من قلب متأصل فيه فلا حرج، وهذا طبيعة بيتك.

.. فجعل يمسح دموعها بيده :

النبي ﷺ يثني ركبتيه لتركب زوجته الناقة، وبسبب دموع السيدة صفية رضي الله عنها يوقف قافلة الحجاج. يظن بضع الرجال أن احترامه لزوجته أمام الآخرين، وتقديرها، والنزول علىٰ رغبتها تقلل من شأنه،

وينقص من رجولته، وتفقده قوامته. والعكس صحيح فاحترام الزوجة، وتقديره مشاعرها يجعلها تكن لزوجها في نفسها كل حب، واحترام، وتقدير، واعتراف بفضله وكرمه. ولنا في رسولنا الكريم ﷺ خير قدوة، فقد كان يعيش بين أزواجه رجلًا ذا قلب وعاطفة ووجدان، حياته مليئة بالحب، والحنان، والمودة، والرحمة. فعندما بكت صفية وجاء رسول الله ﷺ جعل يمسح دموعها بيده، وجعلت تزداد بكاء وهو ينهاها. إنه لموقف جميل من الحبيب محمد ﷺ مع زوجته حين مسح دمعتها بيده، ثم أمر الناس بالوقوف والنزول، علما بأنه لم يكن يريد أن ينزل.

ففي هذه القصة فوائد جمة وكثيرة، يستطيع كل زوجين أن يتعاملا مع هذا الموقف كدستور، ومنهج لحياتهم الزوجية، حتىٰ تصبح سعيدة وجميلة. فمسح الدموع بيد الزوج نفهمه نحن مواساة ودعمًا لعواطف ومشاعر الزوجة، علمًا بأن سبب البكاء قد ينظر إليه الزوج من ناحيته علىٰ أنه سبب تافه، فالدموع والبكاء من أجل بروك جمل يعد من أحسن الجمال، هذا هو السبب، ومع ذلك لم يحقر النبي ﷺ مشاعر صفية وعواطفها، بل احترمها ودعمها وأنزل القافلة كلها من أجلها. إن الدموع تكون غالية وثمينة إذا عرف كل طرف قدرها. وكم رأيت في المشاكل الزوجية دموعًا تنهمر من أزواج ومن زوجات، والطرف الآخر لا يقدر هذه الدمعة ولا يحترمها، بل ويتمنىٰ لو تنهمر من غير توقف.

إلا أن النبي ﷺ مسح الدمعة بيده، ولكنا نعرف أثر تمرير اليد علىٰ الخد، ففيه معان كثيرة علىٰ الرغم من أنه مسافر، وذاهب إلىٰ الحج،

ونفسية المسافر دائمًا مستعجلة حتىٰ يصل إلىٰ مراده، ومع ذلك تريث النبي ﷺ في التعامل مع عواطف المرأة ومشاعرها.

(29) القبلة في الصيام :

❊❊ أن رجلًا قبل امرأته وهو صائم في رمضان فوجد من ذلك وجدًا شديدًا (أي حزن وأشفق أن يكون ذلك محظورًا)، فأرسل امرأته تسأل له عن ذلك.

❊❊ دخلت المرأة علىٰ أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ فذكرت ذلك لها. فأخبرتها أم سلمة أن رسول الله ﷺ : يقبل وهو صائم.

❊❊ رجعت المرأة فأخبرت زوجها بذلك، فزاده ذلك شرًّا (أي زاده ذلك حزنًا لما يقوىٰ عنده من سند الحظر) وقال : لسنا مثل رسول الله ﷺ ، الله يحل لرسول الله ﷺ ما شاء

❊❊ رجعت المرأة مرة ثانية إلىٰ أم سلمة، فوجدت عندها رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : ما لهذه المرأة

فأخبرته أم سلمة فقال رسول الله ﷺ : ألا أخبرتيها أني أفعل ذلك.

فقالت أم سلمة: قد أخبرتها

❊❊ ذهبت المرأة إلىٰ زوجها مرة ثانية فأخبرته، فزاده ذلك شرًّا وقال : لسنا مثل رسول الله ﷺ الله يحل لرسوله ﷺ ما شاء

❊❊ فلما علم سول الله ﷺ غضب وقال: والله إني لأتقاكم لله وأعلمكم بحدوده (أي فكيف تظنون بي أو يجوزون علي ارتكاب منهيٍّ عنه؟)(1) .

(1) رواه مسلم ـ والإمام مالك .

.. انتبه :

أخبرت أم سلمة رضي الله عنها أن القبلة لا حرج فيها للصائم، لثبوتها من فعل الرسول ﷺ ، وقد غضب رسول الله ﷺ علىٰ السائل، لاعتقاده التخصيص بلا علم، أو لأنه اعتقد وقوع المنهي عنه منه ﷺ ، وإن كان لا حرج عليه ﷺ في ذلك إذ غفر له، فأنكر ﷺ ذلك، وقال:" والله إني لأتقاكم لله وأعلمكم بحدوده" فكيف تجوزون وقوع ما نُهي عنه مني(1) .

.. أن رسول الله ﷺ: يقبل وهو صائم :

الإسلام ليس دين تبتل ولا رهبانية، بل هو دين الوسطية، والصوم من أهدافه تهذيب شهوتَيْ البطن والفرج، والتدريب علىٰ السيطرة عليهما، والتحكم فيهما، حتىٰ لا يجرفا المسلم بعنفوانهما إلىٰ المحرمات، فأحل الله ـ عز وجل ـ الأكل والشرب والجماع للصائم ليلًا، وحرمها نهارًا، ولما كان الجماع ممنوعًا في نهار الصائم كان السؤال، ماذا عن المقدمات؟ والسبب أن العربي بطبعه عاطفي، حسن العشرة لنسائه، ميال إلىٰ المداعبة، والشريعة الإسلامية بسماحتها تحث علىٰ ذلك. لذلك رخص للصائم القبلة أو المداعبة، ولكن كل من رخص في المباشرة للصائم، فإنما ذلك بشرط السلام مما يخاف عليه من دواعي اللذة والشهوة، فعن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ رخص في القبلة للشيخ وهو صائم، ونهىٰ عنها الشاب، وقال: الشيخ يملك إربه(أي حاجته) والشاب يفسد صومه(2) .

(1) الزرقاني؛ شرح الموطأ .
(2) رواه البيهقي .

فقول السيدة عائشة يدل أن صنع الرسول ﷺ لهذا ليس مؤشرًا للإباحة بقولها (كان أملككم لإربه، وإياكم يملك إربه كما كان رسول الله يملك إربه؟)

ومن هنا فالحكم دائر مع تحريك الشهوة، والتعبير بالمعنىٰ المذكور بالشيخ والشاب جرىٰ علىٰ الغالب من أحوال الشيوخ في انكسار شهوتهم وأحوال الشباب في قوتها، فلو انعكس الأمر انعكس الحكم(1) .

فنهيه ﷺ للشاب وإذنه للشيخ يدل علىٰ أنه لا يجوز التقبيل لمن خشي أن تغلبه الشهوة وظن أنه لا يملك نفسه عند التقبيل (2) .

عليه فالذي يترجح كراهة القبلة لمن تحركت بها شهوته، وعدم كراهتها لمن لم تتحرك بها شهوته سواء كان شابًّا أو شيخًا. فهي جائزة لمن كان يملك نفسه من الوقوع في المحظور من الإنزال، أو الجماع فيفسد صومه.

(30) الغضب من عمر بن الخطاب :

** جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه بصحيفة (أي بنسخة من التوراة) إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله بعث إلي بهذه الصحيفة رجل من بني قريظة فيها جوامع من التوراة أقرأها عليك

**سكت رسول الله ﷺ ، فجعل (أي شرع) عمر بن الخطاب يقرأ تلك النسخة (ظنًّا منه أن السكوت علامة الرضا والإذن) من التوراة، ووجه رسول الله ﷺ يتغير (من أثر الغضب).

(1) الزرقاني ..شرح الموطأ .
(2) الشوكاني ..نيل الأوطار .

فقال أبو بكر رضي الله عنه : ثكلتك (أي فقدتك) الثواكل (أي: من الأمهات والبنات والأخوات)، ماترىٰ بوجه رسول الله ﷺ ؟

** فنظر عمر رضي الله عنه إلىٰ وجه رسول الله ﷺ ، فقال :أعوذ بالله من غضب الله، ومن غضب رسوله، رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا.

فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده (أي : بقدرته وإرادته) لو بدا(أي: ظهر) لكم موسىٰ فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل ولو كان(أي: موسىٰ) حيًّا (أي: في الدنيا) وأدرك (أي: زمانها) نبوتي لا تبعني"(1)

.. والذي نفسي بيده لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل :

يقول بعض أهل العلم أنه لا يجوز للمؤمن أن يقرأ في كتب أهل الكتاب (التوراة والإنجيل)، ودليلهم غضب النبي ﷺ رأىٰ مع عمر رضي الله عنه شيئًا من التوراة وقال الحافظ ابن حجر: والذي يظهر أن كراهية ذلك للتنزيه لا للتحريم، والأولىٰ في هذه المسألة التفرقة بين من لم يتمكن ويصر من الراسخين في الإيمان، فلا يجوز له النظر في شيء من ذلك، بخلاف الراسخ فيجوز له، ولا سيما عند الاحتياج إلىٰ الرد علىٰ المخالف، ويدل لذلك نقل الأئمة قديمًا وحديثًا من التوراة وإلزامهم اليهود بالتصديق بمحمد ﷺ بما يستخرجونه من كتابهم، ولولا اعتقادهم جواز النظر فيه لما فعلوه، وتواردوا عليه(2) .

---

(1) رواه أحمد والدارمي، وابن حبان في صحيحه عن جابر رضي الله عنه .
(2) فتح الباري .

لذا فإن قراءة كتب أهل الكتاب وكتب غيرهم من أهل الباطل، سواء كانت الكتب التي ورد ذكرها في القرآن وبين الله تعالىٰ تحريف أهل الكتاب لها، أو كتبهم الأخرىٰ ورسائلهم البريدية وإذاعتهم ونحوها- كل ذلك لا يجوز إلا لأهل العلم وأهل التخصص، ومن يعرفون كذبهم وزيفهم وتلبيسهم ليردوا عليهم ويثبتوا تحريفهم لكتبهم. ولا سيما أنهم لا يجدون حرجًا في الكذب علىٰ أهل الإسلام، والافتراء علىٰ نبينا محمد ﷺ ، حتىٰ ردّ عليهم المنصفون من عقلائهم.

ويكفي عن قراءة كتبهم قراءة ما يكتبه علماء الإسلام الموثَّقون في الرد علىٰ أقوالهم المعلنة في وسائل الإعلام كالردود علىٰ تصريحات زعمائهم الدينيين.

ولذلك لا يَجوز لِلمُسْلِم أن يَقْرَأَ في التَّوراة والإنْجِيل لِلتَّسليةِ والاتِّعاظ؛ لِما فيه من الخطر علىٰ عقيدة المسلم، فهذه الكُتُب قد حُرِّفَتْ وغُيِّرتْ، ودخَلَها من التَّبديلُ والتَّحريف ما لا يعلمه إلا الله، وقَدْ أَغْنَانا اللهُ عنْها بِكِتابِنا العظيم القُرآن الكريم.

والمُسلمُ العامِّي إذا قرأ التَّوراة أو الإنجيلَ لم يُؤْمَن عليه أن يُصَدِّق بِما هو باطلٌ، أو أن يُكَذِّب بِما هو حقٌّ.

وخلاصته جواز النظر في كتب أهل الكتاب للحاجة أو المصلحة"

.. فائدة :

من الحديث نتعلم أنه إذا حدث خطأ شرعي من أشخاص لهم حيثية خاصة، أو تجاوز الخطأ حدود الفردية والجزئية، وأخذ يمثل بداية فتنة أو انحراف عن المنهج، يجب الغضب منهم، علىٰ أن هذا

الغضب يكون غضبًا توجيهيًّا، من غير إسفاف ولا إسراف، بل علىٰ قدر الحاجة

لذا ولم يكن غضب النبي ﷺ في تلك المواقف إلا عملٌ توجيهيٌّ وتعليميٌّ؛ تحريضًا للصحابة علىٰ التيقظ، وتحذيرًا لهم من الوقوع في هذه الأخطاء، فالواعظ (من شأنه أن يكون في صورة الغضبان؛ لأن مقامه يقتضي تكلف الانزعاج؛ لأنه في صورة المنذر، وكذا المعلم إذا أنكر علىٰ ما يتعلم منه سوء فهم ونحوه، لأنه قد يكون أدعىٰ للقبول منه وليس ذلك لازمًا في حق كل أحد بل يختلف باختلاف أحوال المتعلمين[1]

(31) العاقل من يعمل بطاعة الله :

قال رجلٌ: يا رسول الله، ما أعقل فلانًا النصراني!

فقال ﷺ : مه، إن الكافر لا عقل له أما سمعت قول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾ [الملك] .

وفي رواية لابن عمر رضي الله عنهما قال: فزجره النبي ﷺ ثم قال: مه، فإن العاقل من يعمل بطاعة الله. [2].

(32) لبس الحرير:

علي رضي الله عنه قال: أهدي إلىٰ النبي ﷺ حلة (الحلة إزار ورداء) سيراء (ثوب مضلع بالحرير)، فلبستها، فرأيت الغضب في وجهه، فقال: إني لم أبعث بها إليك لتلبسها، إنما بعثت بها إليك لتشققها خمرا (والخمر جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها) بين النساء،

(1)فتح الباري .

(2) تفسير القرطبي .

فرجعت إلىٰ فاطمة فشققتها (أي قطعتها خمرًا)، فقالت: ماذا جئت به؟

قلت نهاني رسول الله ﷺ عن لبسها فالبسيها واكسي نساءك" [1]

.. لماذا حرم الذهب والحرير على الرجال وأحلَّ على النساء وما الفرق؟

لا يجوز للرجل أن يلبس الحرير الطبيعي ،ولا يجوز له أن يجلس أو ينام عليه أو يلتحف به فعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: نَهَانَا النَّبِيُّ ﷺ عَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ وَأَنْ نَجْلِسَ عَلَيْهِ[2] .

ويقول النبي ﷺ : لا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَلا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا ، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا (يعني الكفرة)، وَلَكُمْ فِي الآخِرَةِ[3].. فالكفرة زينتهم الدنيا وهمهم الدنيا وهم أولىٰ بهذا الشيء، أما المؤمن فشأنه أن يعد للآخرة، وأن يعمل للآخرة، وليس من شأنه المباهاة في الدنيا، ولُبس الذهب والفضة والحرير، ليس من شأنه هذا، بل هو حريص علىٰ إعداد نفسه للآخرة، والقيام بما أوجب الله عليه، وترك ما حرم الله عليه، وتعاطيه الذهب والفضة لبسًا أو أكلًا أو شربًا في أوانيها قد يجره إلىٰ الكبر والخيلاء فيكون ذلك من أسباب دخوله النار، وقد يجره إلىٰ التشبه بأعداء الله في أخلاقهم وصفاتهم، ورغبتهم في الدنيا، وبُعدهم عن الآخرة، فيجره ذلك إلىٰ الهلاك.

كما أن من طبيعة الرجل الصلابة والقوة. والإسلام يريد أن يتربىٰ

(1) رواه البخاري ومسلم والنسائي .

(2)رواه البخاري .

(3) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

الرجال بعيدًا عن مظاهر الضعف، وبعيدًا أيضًا عن مظاهر الترف الذي يحاربه الإسلام ويعده مظهرًا من مظاهر الظلم الاجتماعي، وذلك حتىٰ يكون الرجل قادرًا علىٰ الكفاح والانتصار في معارك الحياة وميادين القتال أيضًا إذا اقتضىٰ الأمر. ولما كان التزين بالذهب وارتداء الحرير يُعدان من مظاهر الترف فقد حرمهما الإسلام علىٰ الرجال. ولكنه أباحهما للمرأة مراعاة لمقتضىٰ أنوثتها وما فطرت عليه من حب للزينة(1) .

أما النساء من جهة الحلي فلأنهنَّ مطلوب منهن الزينة لأزواجهن حتىٰ يتحببن إلىٰ أزواجهن، والذهب زينة، والفضة زينة، فلهذا أباحه الله للنساء حتىٰ يتجملن به للرجال. أما الرجل فليس بحاجة إلىٰ هذا الشيء، ليس بحاجة إلىٰ أن يتجمل به، بل يكفيه اللباس الحسن، والخاتم من الفضة فقط، ولا حاجة فيه للتجمل لزوجته بالذهب والفضة، وهذا من حكمة الله -جل وعلا- ورحمته وإحسانه إلىٰ عباده سبحانه وتعالىٰ.

وعلىٰ الرغم من هذا التحريم فإنه إذا كانت هناك ضرورة صحية تقضىٰ بلبس الرجل للحرير فإن الإسلام يبيح له ذلك ولا يمنعه. فقد أذن النبي ﷺ لكل من عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام في لبس الحرير لأنهما كانا يشكوان من حكة في جسمهما(2) .

(33) الإساءة إلىٰ أصحابه :

** أعطىٰ النبي ﷺ أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب أرضًا،

(1)الحلال والحرام .

(2)نيل الأوطار للشوكاني .

فاختلفا في عذق نخلة، فقال عمر: هي في حدي، وقال أبو بكر: هي في حدي، فكان بيننا كلام ، فقال له أبو بكر كلمة ثم ندم وغضب منها عمر، فقال أبو بكر: رد علي مثلها حتىٰ يكون قصاصًا، فأبىٰ عمر وانصرف عنه مغضبًا، فاتبعه أبو بكر إلىٰ البقيع حتىٰ خرج من داره وتحرز مني بداره يسأله أن يستغفر له، فلم يفعل حتىٰ أغلق بابه في وجهه.

** أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتىٰ أبدىٰ عن ركبته ، حتىٰ أتىٰ النبي ﷺ فسلم وقال أبو بكر: إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء (أي: محاورة،أو معاتبة) فأسرعت إليه، ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي، فأبىٰ عليَّ فأقبلت إليك

فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر. (ثلاثًا)

** ** نَدِمَ عُمَرُ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُ، فذهب إلىٰ منزل أبي بكر لكي يصافيه ويعتذر منه فسأل عنه: أثم أبو بكر

فقالوا: لا. فأتىٰ إلىٰ النبي ﷺ ليجده عنده ، فسلم وَجَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ ، فقال له: ما لك وللصديق.

** قَصَّ عمر بن الخطاب عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْقصة التىٰ حدثت مع ابىٰ بكر

غَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وتعمر وجهه (أي ذهبت نضارته من الغضب)، حتىٰ أشفق أبو بكر فجثا علىٰ ركبتيه (أي برك)، وَجَعَلَ يَقُولُ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ لَأَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ . مرتين فجعل أبو بكر يعتذر حتىٰ لا يجد النبي ﷺ في نفسه علىٰ عمر .

فَقَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : "هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي، هَلْ أَنْتُمْ

تَـارِكُونَ لِـي صَـاحِبِي، إِنِّي قُلْـتُ يَـا أَيُّهَـا النَّـاسُ إِنِّـي رَسُـولُ اللهِ إِلَـيْكُمْ جَمِيعًا فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقْتَ وواساني بنفسه وماله" (1)

.. قف وانتبه :

الحديث الشريف يوضـح الطبيعـة البـشرية؛ فهـي تخطـئ وتـصيب، وليس أحد معصومًا إلا من ثبتت عصمته؛ كنبينا محمد ﷺ ؛ فـأبو بكـر وعمر كانا علىٰ رأس الصحابة، وهم الأفضل علىٰ الترتيب، ومـن أكثـر الصحابة رضوان الله عليهم قربًا من النبي ﷺ ، ومن خاصـته، ووزرائـه وخلفائه من بعـده، ومـع ذلـك حـدث بيـنهم مـن سـوء التفـاهم مـا أثـار الغضب بينهم، وهذا ليس قدحًا في هذين الـصحابيين الجليلـين، وإنـما هو بيان بأن الخطأ من طبيعة البشر، وأنه ينبغي علىٰ المخطئ أن يعتـذر عند حصول الخطأ.

وقد أشار ابن مفلـح المقدسـي: إلىٰ أنـه ينبغـي علىٰ مـن أُخطـئ في حقه، ثم اعتـذر إليـه المخطـئ أن يقبـل عـذره، وذكـر قـول الحـسن بـن علي: لو أن رجـلًا شـتمني في أذني هـذه، واعتـذر إلـي في أذني الأخـرىٰ، لقبِلت عُذره. ثم وجه إلىٰ أنه ينبغي علىٰ المخطئ الاعتذارُ بلا اختلاق للأعذار؛ لأن الخطأ لا يسلم منه أحـدٌ مـن النـاس: فقـد قـال الأحنـف: إياك وما تعتذر منه؛ فإنه قلما اعتذر أحد فيسلم من الكذب . كما أشـار إلىٰ أن من أُخطئ عليـه ثـم اعتـذر منـه المخطـئ، فينبغـي عليـه أن يقبـل معذرته لقول رسول الله ﷺ : من اعتـذر إلىٰ أخيـه بمعـذرة لـم يقبلهـا، كان عليه مثل خطيئة صاحب مَكْسٍ(2)، وقال النبي ﷺ : من اعتذر إليه

(1) رواه البخاري عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

(2)رواه ابن ماجة.

أخوه المسلم فليقبل عذره ما لـم يعلـم كذبه(1)، ثـم أشـار إلىٰ أنـه ينبغـي علىٰ الصديق ألا يُكثِر محاسـبة صـديقه علىٰ كـل صـغيرة وكبيـرة، فقـد قال موسىٰ بن جعفر: من لك بأخيك كله؟ لا تستقصِ عليـه فتبقـىٰ بـلا أخ، وقال عمرو رضي الله عنه : أعقلُ الناس أعذَرُهم لهم (2) .

وهذا مـا ينبغـي أن يتحلىٰ بـه المـسلم مـن الاعتـذار عنـد الوقـوع في الخطـأ مـن قِبَـل الطـرَفين جميعًـا؛ كـي يبقـىٰ الوفـاء والأُلفـة وصـفاء النفوس.

.. فوائد متعددة :

الخصومة والخلاف طبيعة عنـد البـشر، فقـد وقـع الخـلاف في خـير القرون، غير أن خلافهم لم يفسد للود قضية، وهنا بيان لذلك، يـشتمل علىٰ بعض أخلاقهم وفضائلهم وغير ذلك؛ لـذا فلهـذا الحـديث فوائـد متعددة منها:

1/ ترك إغضاب الفاضل لمن هو أفضل منه:

أن الفاضل لا ينبغي له أن يغاضـب مـن هـو أفـضل منـه، وينبغـي أن يحفـظ لـه حقـه، وأن الـشخص الفاضـل ينبغـي أن يكـون لـه مكانـة في المجتمع، ولا يرد عليه، ولا يمنع طلبه، وإنما يعطىٰ حقـه ويلبىٰ طلبـه لفضله ومكانته.

2/ مفاسد الغضب :

أن الغـضب يحمـل الإنـسان علىٰ ارتكـاب خـلاف الأولـىٰ وتـرك الأفضل، أو تـرك مـا ينبغـي أن يكـون في ذلـك الموقـف، لكـن الغـضب

(1)رواه ابن عبد البر.

(2)الآداب الشرعية .

يصرف الإنسان عن الرؤية الصحيحة فلا يتخذ الموقف الصحيح.

3/ الرجوع عن الخطأ من صفات الفضلاء :

أن الفاضل في الدين يُسرع بالرجوع، فإن الناس يخطئون والصحابة بشر يخطئون، ولكن ما هو الفرق بيننا وبين الصحابة؟ أنهم أقل أخطاءً منا بكثير، ولكن إذا أخطئوا سرعان ما يرجعون إلىٰ الصواب وإلىٰ الحق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ م. فالمشكلة حصلت بين أبي بكر وعمر ولكن أبا بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا رجعا بسرعة، فندم أبو بكر ليس بعد هذه الخصومة بساعات طويلة أو أيام أو شهور وإنما ندم مباشرةً، فرجع إلىٰ بيت عمر، ولما أخطأ عمر ولم يقبل اعتذار أبي بكر، ندم عمر بسرعة وذهب إلىٰ بيت الصديق ، وهذه السرعة العجيبة في الرجوع إلىٰ الحق هي التي ميزت أولئك القوم؛ حتىٰ صاروا أفضل هذه الأمة، واختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه، والجهاد مع محمدٍ ﷺ ومعايشة التنزيل ونزول الوحي، فهم أنصاره ووزراؤه رضي الله تعالىٰ عنهم، وهم أفقه الأمة وأعلمها بالحلال والحرام وأبرها قلوبًا، ولا يبغضهم إلاَّ منافق ولا يسبهم إلا ملعون.وينطبق في أبي بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف] أي: هؤلاء المتقون إذا مسهم طائف من الشيطان كغضب في خصومة، أو سوء تفاهم فإنهم سرعان ما يرجعون، ولذلك قال الله: تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ

وسرعة رجوعهم إلىٰ الحق هذه من مناقبهم وفضائلهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.إن الصحابة بشر يخطئون، وهل هناك أعظم من أبي بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بعد النبي ﷺ ؟! ومع ذلك حصل منهم ما يحصل من البشر من سوء

التفاهم والخصومة، فهم بشر! وليسوا ملائكة، وهم يخطئون ويقع منهم الخطأ، لكنهم رجَّاعون إلىٰ الحق، وهذه هي الميزة العظيمة التي عندهم.

4/ التحلل من المظالم:

الاستغفار والتحلل من المظلوم؛ فإن الإنسان إذا ظلم أخاه وتعدىٰ عليه وأساء إليه وأخطأ في حقه؛ فإن المندوب له أن يأتيه ويطلب منه أن يستغفر له، وأن يتحلل من هذا المظلوم ويقول له: سامحني وحلِّلني واستغفر لي وتجاوز عني ونحو ذلك ولذلك يقول النبي ﷺ: (من كانت له عند أخيه مظلمة –من ظلم أخاه– فليتحلل منه اليوم قبل ألا يكون دينارٌ ولا درهم ولكن بالحسنات والسيئات).

5/ قبول اعتذار المخطئ :

أن الإنسان لا ينبغي له أن يرد اعتذار من اعتذر إليه، ويغلق الباب في وجهه، أو يرفض قبول الاعتذار، وهذا يفعله عدد من الناس من فجورهم في الخصومة، فتراهم لا يقبلون الاعتذار ولا يرجعون ويبقون سنوات علىٰ ذلك، وكلما حاول فيهم الشخص أن يعتذر إليهم لم يقبلوا منه، بل ربما ظلوا علىٰ ذلك حتىٰ الممات لا يقبلون المعذرة ولا يسامحونه، وليست هذه من شيم المؤمنين ولا من أخلاق المتقين؛ بل هذه من صفات المعاندين الذين ركب الشيطان في رؤوسهم فنفخهم فجعلوا يرفضون الاعتذارات، ويرفضون العودة والقبول، وإن من شيم المؤمن أن يكون هينًا لينًا يقبل اعتذار أخيه.

6/ الإتيان إلىٰ البيت للاعتذار:

أن الإنسان إذا أراد أن يستسمح من آخر فليأته إلىٰ بيته، فأبو بكر

لما أخطأ في حق عمر جاء إلىٰ بيت عمر ولحقه إلىٰ بيته، ولما ندم عمر جاء إلىٰ أبي بكر في بيته؛ لأن الإتيان إلىٰ البيت فيه مزيد من تطييب الخاطر، وكذلك فيه إظهار الكرامة للمخطئ عليه؛ لأنه يأتيه في بيته، وكذلك فيه مزيد من الاعتناء بالاعتذار؛ لأنه ليس في الشارع أو الهاتف، أو يرسل له رسالة، أو يوكل أحدًا من الناس يقول له: اعتذر لي من فلان، وإنما يأتيه في بيته، فإتيانه فيه مزيد من الاعتناء بالاعتذار، وهذا ما ينبغي أن يفعل عند حدوث الأخطاء.

7/ اللجوء إلىٰ أهل العلم في حل المشاكل:

أن الإنسان إذا حدثت بينه وبين أخيه مشكلةٌ لم يستطع أن يحلها؛ فإن عليه أن يلجأ لأهل العلم، وأن يقص القصة دون زيادةٍ ولا نقصان، فإن أبا بكر لما أيس من مسامحة عمر له جاء إلىٰ النبي ﷺ وقص عليه الخبر؛ حتىٰ يقوم النبي عليه الصلاة والسلام بالتدخل والمصالحة -مثلاً- أو بيان الحق في المسألة أو الحكم ونحو ذلك.

8/ الإعلان بالرجوع عن الخطأ :

الإعلان بالرجوع عن الخطأ؛ لأن بعض الناس ربما لا يقوىٰ علىٰ الإعلان بالرجوع عن الخطأ، وإنما يريد أن يعتذر سرًّا، وليس أمام الناس، ولكن أبا بكر يقول: (أنا كنت أظلم) أمام الجميع، وعمر جاء يعتذر للنبي ﷺ أمام الجميع، فلم يكن ليمنعهم عن إظهار الاعتذار أن يكون بعض الناس حاضرين، ويقولون: نحفظ ماء وجهنا بأن نأخذ النبي عليه الصلاة والسلام علىٰ جنب ونكلمه ونعتذر له، ولكنهم لا مانع عندهم أن يعتذر الإنسان، ويعترف بخطئه أمام الآخرين، ولم ينقص قدرهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

9/ أخطاء العمرين لا تنقص من قدرهما:

أن أفضل رجلين في الإسلام بعد النبي عليه الصلاة والسلام ما غض من قدرهما، ولا نقص من قيمتهما، أنهما أخطئا ورجعا، فهما أخطئا وجاءا إلىٰ النبي ﷺ ونقلت القصة، والقصة في صحيح البخاري ومسند أبي يعلىٰ وغيره من المصنفين، ومع ذلك فلا نجد في أنفسنا حرجًا ولا غضبًا ولا شيئًا علىٰ الصديق وصاحبه أبدًا؛ بل نجد كامل المحبة لهما؛ لأن خطأهما فائدة لنا، أي: إن من بركتهم أن أخطاءهم فائدة لنا، يتعلم المرء منها أشياء كثيرة، مما ينبغي أن يكون عليه الموقف.

(34) وَلَكِنَّكُمْ تَعْجَلُونَ :

** يقول خَبَّابٍ : أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ مُتَوَسِّدًا (متوسّد: ملتفٌّ بثيابه، أو عَباءته) بُرْدَةً لَهُ ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ لَنَا وَاسْتَنْصِرْهُ (أي: تطلب لنا النُّصرةَ من الله، عن طريق الدعاء والابتهال) .

** قَالَ: فَاحْمَرَّ لَوْنُهُ أَوْ تَغَيَّرَ، فَقَالَ: لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ تحفر له الحفيرة ويجاء بالمنشار فَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ فَيَشُقُّ مَا يَصْرِفُهُ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونُ عَظْمٍ أَوْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ عَنْ دينه، وليتمن اللهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّىٰ يَسِيرَ الرَّاكِبُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ إِلَىٰ حَضْرَمَوْتَ مَا يَخْشَىٰ إِلَّا اللهَ وَالذِّئْبَ عَلَىٰ غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَعْجَلُونَ(1).

.. قف واعلم :

إن قصة خبَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هذه توضِّح لنا تحمُّلَ أصحاب النبي ﷺ الأذىٰ والاضطهادَ في البدايات الأُولىٰ للدعوة الإسلامية؛ ليعلمَ الخلَفُ

(1) رواه أحمد عن خباب بن الأرت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

أن هذا الدينَ إنما جاء إلينا بجهدٍ واجتهادٍ وصبرٍ ومثابرة من السلف .

فعن سعيد بن جبير، قال: قلتُ لعبد الله بن عباس: أكان المشركون يبلُغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذابِ ما يُعْذَرون به في تركِ دينهم؟. قال: نعم والله! إن كانوا ليَضربون أحدَهم ويُجيعونه ويعطِّشونه حتىٰ ما يقدر أن يستوي جالسًا من شدة الضُّرِّ الذي نزل به، حتىٰ يعطيَهم ما سألوه من الفتنة، حتىٰ يقولوا له: اللاتُ والعزىٰ إلَهَانِ من دون الله؟ فيقول نعم! افتداءً منهم بما يبلغون من جهدهم.

.. مَا يَصْرِفُهُ عَنْ دينه، وليتمن اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ :

النبيُّ ﷺ يأتيه بعضُ أصحابه المعذَّبين والمضطهدين، فيطلبون منه أن يستعجلَ لهم النصرَ والخَلاص، فيبيِّن لهم أن المتمسِّكَ بدينه لا يتركُه أبدًا، وذلك أن القابضَ علىٰ دينه كالقابض علىٰ الجمر [1]، لا يتركُه مهما تعرَّض للأذىٰ.

اليقينُ الذي أراد النبيُّ ﷺ أن يعلمه لأصحابه، وأن اللهَ ـ عز وجل ـ سيتم هذا الأمرَ، ولو كرِه الكافرون. قال– تعالىٰ–: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف] .

النبيُّ ﷺ لم يدعُ لخبَّاب وأصحابه، ولعل ذلك يرجعُ إلىٰ أنه أراد أن يعوِّدهم علىٰ الصبر، فلا يستعجلوا النصرَ، أو أنه كان يدعو لهم في غَيبتِهم".

.. لماذا غضب الرسول ﷺ من خباب ؟!!

لم يكن هناك من هو أرحم علىٰ المسلمين من البشر من نبينا ﷺ ،

(1) رواه الترمذي .

فالنبي ﷺ أعظم المربين وأكثرهم تفهمًا للنفس البشرية، وأعمقهم إدراكًا لحقيقة تفاوت قدرات البشر علىٰ تحمل الأذىٰ والبلاء، والمتأمل لسيره يدرك تمامًا أنه كان يعذر ويدعم ويساند كل من تضعف نفسه علىٰ تحمل البلاء الشديد، فرخص لعمار أن يقول كلمة الكفر إذا اشتد به البلاء ولم يتحمله، ومن المعلوم أن النبي ﷺ ما كان يغضب لنفسه قط وما كان ينتصر لها بل كان غضبه لله وحينما تنتهك حرماته سبحانه أو أن يتعرض المنهج الإسلامي لبادرة من بوادر ظهور خلل، فكان يغضب لتقويمه ولإشعار المسلمين بخطورة القضية لوأدها في مهدها، فمثلًا غضب النبي ﷺ علىٰ رجل يطيل الصلاة حتىٰ يفتن الناس وفيه بادرة لظهور تنطع في الأمة، وغضب ﷺ بسبب ظهور بادرة من بوادر النزاع والتفرقة بين الأمة ،

ولكن الموقف هاهنا (طلب خباب) لم يكن انتهاكًا لمحارم الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في شئ، فلماذا غضب؟!

الموقف لم يكن انتهاك لمحارم الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في شئ، ولكن كان فيه بادرة من ظهور خلل منهجي عن مفهوم العبادة وعن تصور شكل وطبيعة النصر وحصره في إطار مخالف لما عليه الثوابت الإسلامية .

ولم يكن معيار نجاح المسلم في مهمته التعبدية يومًا بتحصيل النتائج وتحقيق النصر أو شيء من ذلك، بل نجاحه يتمثل في استمراره علىٰ الطاعة وتمسكه بها وثباته عليها بلا أي تبديل ولا زيغ حتىٰ آخر لحظة في حياته، وذلك علىٰ المستوىٰ الفردي مع عمله وسعيه علىٰ تعبيد الأرض لله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بالقدرة التي يمتلكها ويبذل وسعه

فيها حتىٰ يأتيه الموت علىٰ ذلك، أما علىٰ ضمان النتائج أو تحققها فلا تمثل– إطلاقًا– معيارًا لنجاحه أو لفشله في مهمته .

ولقد مدح الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ عباده الذين فهموا الغاية من وجودهم في الحياة فمات بعضهم شهيدًا قبل أن يرىٰ نتائجها ، فأثنىٰ الله عليهم بتحقيقهم المراد من وجودهم ، فقال سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب] ، فاعتبر نجاحهم هو تمسكهم بالمنهج والثبات عليه حتىٰ اللحظة الأخيرة دون تبديل ولا تحريف ولا زيغ، فاستحق من مات منهم الإشادة بالفوز، وبُشر من لم يمت بعد بثناء الله عليه مادام مستمسكًا بنفس منهجهم .

ولا تقاس نجاحات المؤمنين في هذه الحياة الدنيا إلا بمعيار الثبات علىٰ الحق حتىٰ الموت والسعي الجاد لنصرة دين الله ـ عز وجل ـ وبذل النفس والنفيس في سبيله، وهذا ما نفهمه من انتصار غلام الأخدود مع انه قد قتل، ونفهم انتصار المؤمنين الذين كانوا معه رغم أن الحاكم الظالم قد خد لهم الأخاديد وأجراها بدمائهم.

ومن هنا يتبين أنه ربما يكون غضب النبي ﷺ من أن يتسبب الاضطهاد والتعذيب واستبطاء النصر من ظهور ارتباط غير صحيح عند أتباعه بأن مهمتهم الأولىٰ هي تحقيق النصر المادي للإسلام، وأن يعتبر كل منهم أن تأخر النصر نوع من الفشل، وينسىٰ كل منهم أن النصر الحقيقي والمطلوب مرتبط فقط بالمسئولية الفردية الذاتية بالثبات علىٰ دين الله والسعي– السعي وليس تحقيق النتائج– والسعي بالعمل علىٰ نصرة الإسلام حتىٰ يأتي الموت وهم علىٰ ذلك، وعلىٰ

ألا يشغل المسلمون أنفسهم بالنصر المادي وينشغلوا به عن النصر الحقيقي والنجاح الحقيقي في المهمة التي كلف بها المسلم في حياته.

أما عن النصر المادي، فلله ـ عز وجل ـ سنن لا تتخلف وتقدير محكم، فلا يعجل ربنا سبحانه بعجلة أي منا، وهذا النصر سيأتي لا محالة مصحوبًا بالعمل الجاد من المؤمنين كما وعدهم الله" كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ، وبشر النبي الكريم ﷺ خبابًا رضي الله عنه وتحققت بشارته كما قال.

إن تسرب هذا المفهوم وشيوعه في الناس بربط النجاح في المهمة بتحقيق النتائج المادية يزيد من هم وغم المؤمنين– في أحوال وفي مواطن كثيرة في العالم الإسلامي– إذ يرون علو الباطل في الأرض ويزيدهم عناء ومشقة وإحباطًا إذ يرون أن انتصار الإسلام بعيد المنال وانه لا سبيل مطلقًا لعودة الناس إلىٰ الدين ، فربما ينقلب المسلم علىٰ عقبيه وربما يتسرب اليأس والخور إلىٰ نفسه، وربما تتحول الحياة الإيمانية إلىٰ حياة مادية تهتم بالعدد والنتائج المادية فحسب .

فهذا انحراف خطير في الغاية من وجود المسلم في الحياة، ولعل هذا ما أغضب النبي ﷺ هذه الدرجة من الغضب، فالخشية علىٰ الأمة وعلىٰ تصوراتها ومعاييرها وأفكارها التي تنبع من عقائدها هي أكثر ما كان يغضب النبي ﷺ .

هذا ولا ينبغي أن يجزم مسلم بأنه يمتلك الفهم عن مراد النبي ﷺ أو عن أسباب تصرفاته ما لم يصرح به النبي ﷺ أو ينقله أحد صحابته الذين سمعوا منه، وستبقىٰ كل هذه مجرد اجتهادات لمحاولة فهم واستيعاب وتعلم الدروس من سيرة النبي الكريم ﷺ الذي جعله الله ـ

عز وجل ـ هاديًا للمسلمين ورحمة للعالمين.

أخيرًا :

فهذه بعض المواقف والحوادث من حياة النبي ﷺ التي بينت أنه يغضب إذا كان الأمر متعلقًا بدين الله تعالىٰ.

إن المتأمل سيلاحظ أن غضب النبي ﷺ في مواطن متعددة ولأسباب مختلفة لم يكن لهوىٰ في نفسه، أو انتصارًا لحمية في طبعه، بل كان مرجعه ﷺ في تلك الحالات كلها كله إلىٰ أمر الله ـ سبحانه تعالىٰ ـ، فهو غضب في الله، خصوصًا إذا انتهكت حرمات الله ـ عز وجل ـ، وليس للنفس والهوىٰ، و قد أظهر ﷺ الغضب في هذه المواقف ليكون آكد في الزجر عن بعض الأقوال أو الأفعال أو الأحوال والبعد عن فعلها فهو ﷺ معلم البشرية وهاديها إلىٰ الصراط المستقيم.

وكل هذه المواقف المختلفة قصد فيها النبي ﷺ أن يعلم أمته عندما يغضب أو يتغير ويتلون وجهه من فعل معين أو قول معين فيبين لهم، لماذا هو غضب ولم يرض عن هذا الفعل أو هذا القول، وما كان غضبه إلا لله وفي الله وليس في شيء آخر أو لدنيا أو لجاه أو لمال.

فينبغي علىٰ المسلم الاقتداء به ﷺ في غضبه لحرمات الله ـ عز وجل ـ إذا انتهكت، وألا يكون حاله سواء عند انتهاك الحرمات وعدمه، وهذا من تغيير المنكر الذي أمر الله به الأمة، وليكن أسلوب التغيير بعد الغضب بالمنهج الشرعي لا وافق هوىٰ النفس أو التعدي علىٰ الخلق.

تريد الناس أيها المسلم (المسلمة) أن يستمعوا إليك فاحلم وابتسم.

تريد أن يصححوا أخطاءهم فارأف بهم وتحملهم.

تريد أن يحبوك فأظهر حبهم واصبر علىٰ ما بدر منهم.

تريد أن تنقلهم من الضلالة إلىٰ الهدىٰ فتحمل عظم النقل.

تريد طريق الأنبياء والمرسلين فاعلم أنه مفروش بالصعاب والأشواك.

تريد أن ترىٰ ثمار عملك فابتعد عما يعكر صفو طريقك ومنه (الغضب).

تريد أن تؤثر في أفكارك ومنهجك فتقرب إلىٰ الناس وإن أغضبوك.

تريد أن تنقل ما لديك من علم نافع فلا تغضب.

وأخيرًا أقول هنا إن كانت (لا تغضب) وصية لعامة الناس

فهي لك أيها الملتزم والداعي أهم وأجدىٰ وأشد.

نسأل الله أن يرزقنا التمسك بسنة نبينا محمدﷺ وأن يثبتنا علىٰ دينه حتىٰ الممات.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

المراجع

1- تفسير الطبري.. محمد بن جرير الطبري.. دار المعارف

2- فتح الباري شرح صحيح البخاري.. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.. دار الريان للتراث

3- صحيح البخاري.. محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي.. د مصطفىٰ الديب.. دار ابن كثير.. دمشق.. بيروت

4- فتح المنعم شرح صحيح مسلم.. المؤلف: موسىٰ شاهين لاشين.. الناشر: دار الشروق

5- صحيح مسلم.. مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري.. دار إحياء التراث العربي – بيروت.. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي

6- شرح النووي علىٰ مسلم.. يحيي بن شرف أبو زكريا النووي.. دار الخير

7- عون المعبود.. شرح سنن أبي داود.. محمد شمس الحق العظيم آبادي.. إشراف صدقي محمد جمل العطار.. دار الفكر

8- الجامع الصحيح (سنن الترمذي).. محمد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي.. تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر.. دار الكتب العلمية.. بيروت

9- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي.. المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري.. دار الكتب

العلمية.. بيروت

11- المغني.. المؤلف: موفق الدين ابن قدامة.. المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي- عبد الفتاح الحلو.. الناشر: دار عالم الكتب.. الرياض.. السعودية

12- المعجم الأوسط.. المؤلف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.. تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد الحسيني.. الناشر: دار الحرمين- القاهرة

13- شرح الزرقاني علىٰ موطأ الإمام مالك .. المؤلف: محمد بن عبد الباقي الزرقاني المصري الأزهري.. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.. الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة

14- المنتقىٰ شرح الموطأ.. المؤلف: سليمان بن خلف الباجي الأندلسي ..المحقق: محمد عبد القادر أحمد عطا.. الناشر: دار الكتب العلمية

15- الطبقات الكبرىٰ.. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد البصري، المعروف بابن سعد.. المحقق: إحسان عباس.. الناشر: دار صادر – بيروت

16- الفروق.. المؤلف: شهاب الدين أبو العباس أحمد.. المحقق: عمر حسن القيام..الناشر: مؤسسة الرسالة ناشرون.. بيروت.. لبنان

17- شعب الإيمان.. المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي.. حققه الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد.. الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض

18- الجامع لأحكام القرآن.. المؤلف: أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ شمس الدين القرطبي.. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.. الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة

19- شرح رياض الصالحين.. المؤلف: محمد بن صالح العثيمين.. الناشر: مدار الوطن للنشر

20- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.. الإمام الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني.. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

21- الفقه على المذاهب الأربعة..المؤلف: عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري..الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان

22- دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير.. المكتبة الشاملة ..http://shamela.ws/index.php/book/6366

23- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار.. أبو عمر يوسف ابن عبد الله بن محمد بن عبد البر.. دار قتيبة- دار الوعي

24- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح.. علي بن سلطان محمد القاري.. دار الفكر

25- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد.. المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي الهيثمي.. المحقق: حسام الدين القدسي.. الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة

26- مجموع الفتاوى.. المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية.. المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.. الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.. المدينة.. السعودية

27- نيل الأوطار.. المؤلف: محمد بن علي الشوكاني اليمني..

تحقيق: عصام الدين الصبابطي.. الناشر: دار الحديث، مصر

28- الوافي في شرح الأربعين النووية. د. مصطفى البغا، محيي الدين مستو، مؤسسة علوم القرآن، دمشق – بيروت

29- أصل صفة صلاة النبي ﷺ .. محمد ناصر الدين الألباني.. الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض

30- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول.. المؤلف: حافظ بن أحمد الحكمي.. المحقق: عمر بن محمود أبو عمر.. الناشر: دار ابن القيم

31- الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية.. المؤلف: زيد بن عبد العزيز آل فياض.. الناشر: وزارة الأوقاف السعودية

32- تبسيط العقائد الإسلامية.. المؤلف: حسن محمد أيوب.. الناشر: دار الندوة الجديدة، بيروت- لبنان

33- شرح العقيدة الواسطية.. لشيخ الإسلام ابن تيمية.. شرحه الشيخ محمد بن الصالح العثيمين.. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية.

34- مجموع فتاوى ورسائل ابن العثيمين.. المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين.. جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان.. الناشر: دار الوطن- دار الثريا

35- روائع البيان تفسير آيات الأحكام.. المؤلف: محمد علي الصابوني.. الناشر: مكتبة الغزالي- دمشق،.. مؤسسة مناهل العرفان - بيروت

36- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ..

المؤلف: أحمد ابن تيمية .. المحقق: ناصر عبد الكريم العقل.. الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان

37- الإحكام في أصول الأحكام.. المؤلف: أبو محمد علي بن حزم الظاهري.. المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر.. الناشر: دار الآفاق الجديدة.. بيروت

38- زاد المعاد في هدي خير العباد.. المؤلف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية.. المحقق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط.. الناشر: مؤسسة الرسالة .. بيروت

39- إعلام الموقعين عن رب العالمين.. المؤلف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية.. تحقيق: طه عبد الرءوف سعد.. الناشر: دار الجيل- بيروت

40- أدب الدنيا والدين.. المؤلف: الماوردي.. المحقق: محمد كريم راجح.. الناشر: دار اقرأ

41- الآداب الشرعية.. المؤلف: عبد الله محمد بن مفلح المقدسي.. المحقق: شعيب الأرناؤوط- عمر القيام.. الناشر: مؤسسة الرسالة

42- خصائص الشريعة الإسلامية.. د.عمر سلمان الأشقر.. مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.. الكويت

43- إحياء علوم الدين المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي.. الناشر: دار المعرفة- بيروت

44- خلق المسلم .. الشيخ محمد الغزالي .. دار النشر: دار القلم - دمشق

45-40 موقف غضب فيها النبي ﷺ .. تأليف أبو إسلام أحمد بن علي.. كتاب إلكتروني

46- الغضب آداب وأحكام.. تأليف د. نايف بن أحمد الحمد.. كتاب إلكتروني

47- الغضب وكيفية علاجه في ضوء السنة النبوية.. عبد الله حسن الشريف.. كتاب إلكتروني

48- حديث لا تغضب.. دراسة حديثية دعوية نفسية.. إعداد أ. د. فالح بن محمد بن فالح الصغيّر الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.. كتاب إلكتروني

49- الغضب مخاطره وآثاره وعلاجه.. عبد اللطيف بن إبراهيم الحسين.. مجلة البيان.. العدد 238.. تصدر عن المنتدىٰ الإسلامي

50- السِّيرةُ النّبوية.. عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث.. المؤلف: عَلي محمد الصَّلاّبي.. الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان

51- الحلال والحرام في الإسلام.. تأليف الدكتور يوسف القرضاوي.. المكتب الإسلامي.. بيروت

52- الوسائل المفيدة للحياة السعيدة.. المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي.. الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة — السعودية

53- جامع السنة وشروحها
_h&hadith=show?php.index/com.hadithportal://http
=2book=1711&sharh=2373&id

54- التصوير الفوتوغرافي.. د. أحمد الخليل.. موقع المسلم
http://www.almoslim.net/node/220933

55- سنة حسنة.. الشيخ طه محمد الساكت.. موقع الألوكة
http://www.alukah.net/sharia/0/55605/

إنكار المنكر وضوابطه.. محمد الأنصاري.. موقع السكينة
http://www.assakina.com/taseel/4716.html

56- قصة الخصومة بين العمرين.. للشيخ محمد المنجد
http://audio.islamweb.net/audio/Fulltxt.php?audioid=603

الفهرس